محمد المنصور الشقحاء

الفناء شعور لا يعرف

حكايات وقصص قصيرة

Kutub

الفناء شعور لا يُعرف

(حكايات وقصص قصيرة)

محمد المنصور الشقحاء

مطبوعات إي-كتب
لندن - 2014

Evanescence is an unknown feeling

By: **Mohammad alMansor alShakhaa**

Copyright: The Author

Published by E- Kutub.com

ISBN: **9781780581293**

* * * * *

PUBLISHED BY:

e- kutub.com on www.e- kutub.com & Google Books

All rights reserved

This e-book is licensed for your personal enjoyment only. This e-book is free and it can be given away to other people for free only. If you would like to share this book with another person, please refer to the publishers. If you're reading this book and found any concerns please contact e-kutub.com at:

ekutub.info@gmail.com

If you would like to contact the author, please write to

m7med2000@gmail.com

Thank you for respecting the author's work.

*** * * * ***

الطبعة الألكترونية الأولى

جميع الحقوق محفوظة للمؤلف.

مرخصة فقط للإستخدام الألكتروني، لا تجوز طباعة أي جزء من هذا الكتاب على ورق.

كما لا يجوز الاقتباس من دون الإشارة الى المصدر.

أي محاولة للنسخ أو إعادة النشر من دون إذن المؤلف تعرض صاحبها الى المسؤولية القانونية.

إذا عثرت على نسخة عبر أي وسيلة اخرى غير موقع الناشر (إي- كتب) أو غوغل بوكس، نرجو اشعارنا بوجود نسخة غير مشروعة بالكتابة الينا:

ekutub.info@gmail.com

يمكنك الاتصال بالمؤلف عبر العنوان التالي:

m7med2000@gmail.com

الفهرس

ـ الحكاية
ـ الرقص في الوقت الضائع
ـ الفناء شعور لا يعرف
ـ النسناس
ـ الواهن
ـ تحليق اشرعة منشورة
ـ تمزق انسان مطلق
ـ طوايا نفس
ـ في المرآة وجه يجهش بالبكاء
ـ نداء يزداد ثقلا
ـ إدراك اكثر وضوحا
ـ اعتراف بأمر يخصني وحدي
ـ الحكاية تخدع الصنم
ـ سفرُ الزهور الصفراء
ـ عاطفة
ـ كولاج
ـ الممثلة تقفز من النافذة
ـ جموح حدث الوقت
ـ الفضول يغير المعالم
ـ الريح
ـ الجرح ينزف عطرا
ـ الحنق
ـ المنزل تسكنه الرغبة
ـ متعاون
ـ الهيم
ـ السحاب يبسط ذراعيه
ـ اعياد
ـ حواس انطباع غامض

- صوت
- بيت الجدة
- ريح رمادية
- موجة ضباب داكنة
- عندما نتذكر الأشكال العادية
- سيمفونية ليلة وداع
- انثيال رشة نور
- ترحل لحظات لا لون لها
- ضغث نبات متسلق
- النفق
- اللوحة الأخيرة
- القدرة على السيطرة
- بعد
- أيام الانتظار
- نبتة الشيطان
- السائق
- العتبة
- ولكن لا تسألوني
- الجاوية
- فينوس
- الحارس
- الفراشة
- فأر التجارب
- ثقافة
- افراج
- خديعة
- زهرة الدفلي
- يوم الجمعة

الحكاية

جاء الحديث غريبا فأنا من يتحدثون عنه كنادرة مما يقع في قصر الأمير، فعلا كنت من ضمن طاقم الحراسات للشرطة العسكرية، وفي السابعة مساء توقفت سيارة أمام حاجز بوابة الدخول

لا أعرفها ولا أعرف قائدها وإذا به بلهجة أهل الشام ينعتني بـ(الحمار) ويطلب مني السماح له بالدخول، توقفت أناقشه في لفظه فواصل (إن خي الم...) ينتظره، عندها فتحت باب السيارة ولكمته على صدره ورفسته بقدمي ولما تخلص مني ركب سيارته ورجع من حيث أتى، بعد ثلاثة أيام أفادني قائد الموقع إن الأمير طلبني فدخلت ناسيا الأمر وهناك كان الرجل الذي ضربته يقف بجوار الأمير شعرت بالتوتر الذي لم يتقبل صراخ الأمير وصفعه المتكرر على وجهي كنت أقف كما عامود من الأسمنت تدخل مرافقي وسحبني، ومع الفجر كنت اركب سيارتي الخاصة مغادرا الرياض متجها إلى بلدتي في جبال عسير، نسيت الأمر وعملت سائق سيارة أجرة ومشرف عمال في شركة تجارية يملكها احد أقاربي، وفي العام الثالث كانت الشركة هي الراعي الرسمي لحفل ضمن نشاط مدينة أبها في الصيف وكان تكليفي بقيادة سيارة احد الضيوف من الفندق لمقر الحفل وإعادته، وأنا انتظر في استقبال الفندق دوري إذا بمرافقي الأمير الذي أهان كرامتي أمام الغريب ولم يحترم الزى العسكري ترددت في التحرك إنما شعرت بالمسئولية فلم اهتم بغيضي وتوتري وتتبعت التعليمات وسرت في الموكب، وفي

العودة عرفت ان الأمير وهو يحدق في تذكر شيء كانت هواجس لم تطفح على السطح إنما لمحته يهمس في إذن مرافقه الخاص والأمير يركز نظره علي، في اليوم التالي كان علي إيصال الأمير للمطار قبل الموعد بساعة اتفقت مع المشرف على البث الصوتي والصورة في غرف الفندق بث شريط فديو أحضرته يحمل مشهد عشر دقائق يوثق حادثة بوابة قصر الأمير كان العامل البنغالي متردد فرشوته فغامر وبث الشريط اعرف إن الأمير الآن يجلس في جناحه مع مرافقه الخاص لتناول فنجان القهوة والاستعداد للسفر، تأخر نزوله وأنا استعدت الشريط والعامل البنغالي اختفى من غرفة البث شعرت إن هناك حركة متصاعدة داخل الفندق، هبط الأمير ومرافقه ومعه بعض موظفي الفندق ورجال الأمن حدق في شعرت أن ذاكرته تحسنت وفي الطريق للمطار ران الصمت، ولما ترجل المرافق الخاص وقمت بفتح الباب.

قال الأمير: هو أنت

قلت : نعم

وناولت المرافق مظروفا بداخله نسخة من الشريط تناوله مندهشا، وقد هز الأمير رأسه موافقا على استلامه، كانت الثامنة مساء وفي أخبار العاشرة ليلا عرفت إن الأمير وصل الرياض وفي أخبار السابعة صباحا جاء خبر موت الأمير اثر نوبة قلبية.

الرقص في الوقت الضائع

اشعر بألم في أسفل بطني معه قمت بمراجعة المركز الطبي بالحي، وجاءت المعاينة الظاهرية للطبيب غير شافية، فقام ابني البكر الذي التحق بالجيش بعد الثانوية بعمل ملف باسمي في المستشفى العسكري وحدد موعدي الأول كانت الطبيبة كثيرة الحوار والنقاش وكان ابني يقاطعني للإجابة على أسئلتها لأكمل ملفي الطبي.

وكان الموعد الثاني والثالث وفي الرابع وقد أكملت فحوصات الدم للسكري وقياس الضغط وباقي الكشف الكامل المفاجآت وهي تكتب العلاج كان الموعد الخامس لمعرفة اثر العلاج إذ غادرت مقعدها وسارت معي حتى باب العيادة.

في الموعد الخامس كنت انتظر دوري في غرفة الاستقبال وحيدا إذ كلف ابني من إدارته بمهمة خارج مدينة الرياض تردد اسمي عبر نداء المرضى لدخول العيادات توجهت للعيادة التي اعتدتها كانت الطبيبة وممرضتها الأسيوية قاست نبضي ونسبة السكر في دمي.

قالت الطبيبة: كل شيء تم التحكم به

قلت: الحمد لله

قالت الطبيبة: لم يحضر ابنك

قلت: أسامة كلف بمهمة عمل من إدارته خارج الرياض

قالت الطبيبة: عندك غيره

قلت: ثلاثة أبناء ذكور وابنة

قالت: أسامه الأكبر

قلت: نعم

قالت الطبيبة: متزوج

قلت: بعد وأفكر في ذلك

قالت الطبيبة: موافق

أنهت الممرضة تسجيل ملاحظاتها وقد ران الصمت منتظرا الوصفة الطبية للعلاج فتحت الطبيبة درج مكتبها العلوي وأخرجت دفتر حجمه كبير كما خيل لي بين أوراقه أوراق أخرى ملونه وضعته على المكتب.

قالت الطبيبة: منذ موعدك الأول شعرت أني أعرفك

قلت: نعم

قالت الطبيبة: تأكدت من ذالك عندما هاتفة أختي المقيمة في أمريكا

قلت: قد يكون

قالت الطبيبة: لك أخت اسمها هاجر

قلت: نعم رحمها الله

قالت الطبيبة: هاجر زميلة أختي فلوه في الثانوية

قلت: وبعد

قالت الطبيبة: وقتها كنت أنت في الثانوية الصناعية في قسم الكهرباء

قلت: وهو عملي اليوم

قالت الطبيبة: وبسبب هذا التخصص دخلت بيتنا

عندها سرت رعشة وهم في جسدي معها تجاوزت جدران العيادة إلى زمن بعيد كنت الابن الثالث بين الذكور والخامس في الأبناء والبنات ثلاثة أولاد وخمس بنات، والدي موظف في قسم مالي في إدارة حكومية تمكن من رعايتنا وتعثرت دراستي في

الابتدائية والمتوسطة فالتحقت بالثانوية الصناعية وأنا في الثامنة عشر.

أخي الأكبر تخرج من الجامعة وعين معلما في جازان وتدرج حتى استقر به الأمر في جدة أختي الثانية في الترتيب توقفت عند المتوسطة وتزوجت أنا وهاجر الرابعة في الترتيب كان طموحنا تنمية مهاراتنا هي تهوى الخياطة والتفصيل فكانت درجاتها في التدبير المنزلي الأعلى مما ساعدها على الالتحاق بالجامعة.

وأنا هوايتي في الكهرباء عطلت اهتمامي بالمواد الأخرى، وكان تعثري الذي قاومته بمزيد من العسف وتبديل برنامجي اليومي بما يعيد التوازن لخطواتي، فكان التحاقي بالثانوية الصناعية ثم حصولي على دبلوم من قسم الكهرباء في الكلية التقنية والعمل في المجال الحكومي.

في الموعد السادس الذي تأخر بسبب ضغط المواعيد حرصت على ان أكون وحيدا وهذا جاء حسب توقع الطبيبة التي لم تستعجل الممرضة في تدوين أرقامها وكتابة ملاحظاتها

قالت الطبيبة: هاه هل تذكرت شيء

قلت: انتظر المزيد منك

قالت الطبيبة: والدي مهندس معماري ورئيس الإدارة الهندسية في إدارته التي لها مشاريع خارج الرياض.

قلت: المهندس بكر إبراهيم

قالت الطبيبة: الشيخ بكر إبراهيم رجل الأعمال المعروف ورئيس مجلس إدارة احد البنوك

قلت: نعم

قالت الطبيبة: تمت محاربة والدي في قيمه وعمله مما اثر على علاقته بأمي التي وجدت فيك البديل المناسب

قلت: نعم

قالت الطبيبة: أختي المراهقة كانت تتوسم فيك فتى أحلامها فأنت شقيق زميلتها المفضلة

قلت: أنا

قالت الطبيبة: إنما تبني أمي لك افسد خططها

قلت: وأنت

قالت الطبيبة: كنت في الثامنة لا اثر لي

كان دخولي المنزل أول مرة لحل إشكال في كهرباء جزء من الفيلا التي تسكنها العائلة واستعنت بشركة لديها مهندسين للإصلاح الذي معه أصبحت الأم تستعين بي في حل مشاكل الأدوات الكهربائية وأعطالها.

ثم تطور الأمر مع غياب المهندس في رحلات عمل وحماية حقوقه المعنوية والمالية التي شغلته عن دوره الأسري فخلق تباعد ذهني وجسدي وجدته الأم التي تعاني من توتر نفسي وقلق جسدي تعالجه بأدوية مسكنه، انه إهمال لها وأنها لم تعد المؤثرة داخل المنزل فأخذتها هواجسها إلى عوالم أخرى وصورني مرجل هوسها أني هلام في إطار التكوين وعليها تشكيلي كما أوجدني عالمها المشوش.

ذات مساء وقد غربت الشمس رن هاتف المنزل كنت الأقرب رفعت السماعة؛ كانت هي تطلب حضوري مشترطه ان اركب سيارة أجره، لم استوعب طلبها إنما نفذته لم يكن هناك احد هي من فتح الباب العتمة تعم الممرات والضوء القادم من الشارع يتسلل، شعرت انني غير موجود واحساس يشبه الأسف

يتدفق داخلي كانت تخدع نفسها، بدت قلقة ما تعرفه انها حددت هدفها الذي عذبها، ليتوقف كل هذا مع رنين جرس الباب.

كنت حينها في الثالث ثانوي؛ لم أتجاوز الأفكار النظرية عن المرأة وأحلام ليلية تربك حراكي داخل المنزل، وبعد شهرين من التجربة الأولى رتبت للقاء أخر أصبحنا فيه نمارس عبثنا بعد مغرب الأربعاء في الأسبوع الأخير من كل شهر، احضر بسيارة أجرة انساق لرغبتها وقد تجاوزت التوتر.

وهي تقول: انت تفاحتي الذهبية التي انشغلت ذاتي بها والضوء النابت من الصقيع. كنت أسهر في الشتاء بسبب الهاوية التي تحاول جرفي.

وفي مرة قالت: ان أنت لم تتركني فسأطير كيمامة

قلت:سأتعقبك كعقاب

قالت: وستقتلني

قلت: اخذك الى الغابة ونشيد عشنا

وينتهي وهج اللحظة الساطع ولتفتح الأبواب من تلقاء نفسها ويعم الضياء المكان، برنين جرس الباب قبل أذان العشاء، فقد وصل السائق الذي يقلها الى حيث تكون الأسرة في لقاء شهري يتناوب ثلثه من الأصدقاء والأقارب ترتيبه.

وخلال هذه اللحظات المستقطعة نميت ثقافتي العاطفية بمطالعة المجلات الفنية والثقافية واقتناء الروايات والقصص العاطفية معها كنت احدث تصرفي في كل لقاء بما كسبته من اطلاعي ومعها شعرت أنها تتحسن نفسيا وجسديا، لكن أمور المهندس زادت سوءا فقرر وهو يعد لزواج ابنته فلوه المتخرجة من الثانوية زميلة أختي اخذ إجازة من العمل ومغادرة البلاد وكنت في المستوى الثاني في كلية التقنية.

كان حفل الزواج حديث والدتي وأختي التي أعلنت ان زميلتها سوف تسافر مع زوجها الذي يدرس في أمريكا وان موافقتها جاءت عن رغبة في إكمال دراستها في مكان أخر تجد فيه نفسها ليس من خلال إقناع أمها لها، أو قناعتها بأن المتقدم لطلب يدها هو من تتمنى أو يتفق مع مواصفاتها التي كل يوم تتجدد أثناء نقاش الصديقات في فسح الحصص الدراسية اليومية وخلوات دورات المياه في التلصص على المدخنات من الزميلات وإرعابهم بالوشاية.

ونحن نتحدث أمي وأخواتي وإخوتي والتلفزيون يعرض برنامج عن الطبيعة بعد صلات المغرب رن جرس الهاتف ولما رفعت السماعة، جاء صوتها كانت فلوه العروس زميلة هاجر تطلب حضوري لمنزل أسرتها في الطريق اعرف ان الجميع مسافرين منذ ثلاثة أيام وإنها سوف تسافر بعد يومين، تذكرت ان هذه التصرف اعتدته مع أمها وخلق قلقي سؤال ترى انفتحت ابواب جهنم وتساؤل هل كانت تعرف.

فتحت الباب كانت تتدرع بعباءتها وشعرها القصير يلفه شال احمر شفاف يفتر وجهها عن ابتسامة صغيرة جلسنا متقابلين في غرفة الجلوس.

قالت: كنت حلمي

قلت: لم اعرف

قالت: أمي خطفتك مني

قلت: نصيب

قالت: اعتبرتك ابنها الذي لم تلده

قلت: هي من خلط الأمور

قالت: اتمنى ان تحفظ ذكراها

ولما رن جرس الباب

قالت: الآن اسافر وقد انزاح هم كبير كان يثقل كاهلي

قلت: والآن

قالت: كما انت شقيق زميلتي اراك صديق واخ

وطلبت ان انتظر حتى تغادر وقد سحبت خلفها حقيبة انتصبت في زاوية الغرفة دست بها أشياء أخذتها من غرفتها لأغلق ابواب الدار.

قالت الطبيبة: هل تخلصت من مفاتيح الدار

قلت: ترددت ولكن بعد تخرجي والتحاقي بالعمل نفذت طلبها

تذكرت اسم الطبيبة كان في وكانت في الثامنة من العمر؛ أختي هاجر تخرجت من الجامعة وتعسرت ولادتها ونزفت دمها حتى لفظت أنفاسها ومولودها الأول يصرخ معلنا وجوده.

بعد عامي الثاني في العمل تزوجت وبعد ثلاثة أولاد وبنت ومع تقسيم إخوة واشقاء زوجتي التركة بعد وفاة والدها، تصاعد خلافهم مع إخوتهم من أبيهم كان زواجي من أختهم محور نقاش أنا عامل كهربائي وهم من عائلة معروفة.

وأمام هذه الإشكالات غادرت زوجتي الدار وطلقتها بعد عدد من جلسات المحكمة فشل فيها أهل الخير في التوسط، لتفاوت في القيم الاجتماعية معها تنازل إخوتي عن منزل الأسرة بنسب في نصيبهم من الإرث فأعدت ترميمه ليستوعب أولادي وتعود أمي المقيمة عند أخي الأكبر في جده لرعايتي ورعاية أبنائي.

عرفت ان فهده والتي تعارف الجميع على انها أم احمد لم تنجب سوى فلوه وفي، وإنها ماتت منتحرة في بيروت إذ استقر المقام بالمهندس وقد مدد إجازته الإدارية ثم قدم استقالته وكون

مع مجموعة من رجال الأعمال في بيروت شركة أعمال، كان وسيط دخولهم السوق السعودية، فهده في غمرة انشغالها بمجتمعها الجديد عادت حالتها النفسية للتوتر ومشاكل جسدها فأدمنت شرب الخمر، لم يستطع المهندس التوفيق بين حالتها ودوره كرجل أعمال فأدخل في مدرسة داخلية حصلت عبرها على الثانوية والتحقت بكلية الطب في الجامعة ألأمريكية.

كانت فهده تقاوم مراقبة الممرضة التي ترافقها وأخرى تساعدها على حياتها كسكرتيرة لها وفي غفلة من الاثنتين دخلت غرفتها وأخرجت من الثلاجة قنينة خمر وتمددت في مغطس الحمام وبعد عدت جرعات من فم القنينة قطعت شراييها فتدفق دمها ولفظت أنفاسها،

في تخرجت طبيبة وعملت في المستشفى الجامعي ببيروت عامين معها وأثناء قيام لجنة طبية تابعة لشركة تشغل المستشفى العسكري بالرياض بزيارة بيروت للتعاقد مع كادر طبي وفني وإداري جرى التعاقد معها فعادت للرياض وبعدها انتقل والدها للرياض لاحقا بها.

في الثلاثين من العمر تجاوزت عقد الحياة ولم تقرر كيف تعيد صياغة حياتها وان لم تفقد الكثير من أجواء بيروت إذ خمسين في المائة من العاملين معها هم رفاق درب وحياة كما ان الوسط الاجتماعي داخل المستشفى لم يصدمها وحراك المجتمع في الرياض خلق حياديتها الذي وفر لها الاطمئنان النفسي والجسدي.

وفي مراجعة لم يرتب لها كنت اجلس أمامها تقلب ملفي الطبي، ثم تحدق في مبتسمة عرفت إنها تخطط لشيء

قالت الطبيبة: الفاء الثالثة تبحث عن نصيبها فيك

قلت: لم افهم

قالت الطبيبة: فهده الفاء الأولى اكتشفتك، وفلوه الفاء الثانية ببعض القلق المشوب ببعض النقمة تخلت عن شعورها بحبور ولم تفسد خيار لم يخطر ببالها لكن قلبها عرف السلام؛ وبقيت الفاء الثالثة طفلة الأمس التي لم تدرك حينها الأمور فماذا تبقى.

قلت: أنت

قالت الطبيبة: نعم

هذا هو حقا يوم من تلك الأيام التي يرتكب فيها الواحد حماقات لم يرفض سطوتها،كل الأتي عبثي: الأمكنة، الناس، الكلمات التي نتفوه بها الأفكار التي تنسج عوالم نتمنى ان نكون ضمن نسيجها وان جاء ذلك بلا معنى.

جاء ترتيبها متمهلا وفي هدوء ضمنا جناح في فندق تميز بخصوصيته وبنجومه الخمسة كانت العباءة السوداء تنسكب على جسدها، لم تحدد الزمن إذ إننا نحن من نتحكم به أنا في الخمسين من العمر أتمتع بمقدرة غير مرئية في تلطيف المكان وهي بنضجها وعلمها وتمتعها بمواصفات جسدية وحسية تشاركني ذاكرة لم نفتحها لتدلق كل شيء.

قالت: لم اصدق انك النور الذي اقتحم وجودنا

قلت: انتم من أوجده

قالت: كانت فلوه صادقة

قلت: فيما ذا

قالت: انك من خلقت سعادتها التي تعيشها اليوم مع زوجها وأبناؤها

قلت: هل هي سعيدة في أمريكا

قالت: وتغريني بأن التحق بها

أخبرتها برغبتي في بقاؤها في الرياض لم ترد علي وان رتبت لزواج ابني أسامة من ابنة احد أقارب والدها ولأجدها وأنا اجتاز ممرات المستشفى برفقة رجل يضج حياة.

قالت الطبيبة: زوجي بدر

قلت: نعم

قالت الطبيبة: بدر ولد خالتي ومدير مكتب الوالد في إدارة البنك، جاء لأخذي لتناول الغداء في أحد المطاعم

حدقت بها كانت السعادة تطوقها والحياة تعج في ممرات المستشفى أصر بدر على دعوتي لمشاركتهم الغداء؛ ترددت وجاء تصريحها بأني موافق.

الفناء شعور لا يُعرف

بعد تجوال بين المحلات التجارية بحثا عن حاجتي من المشتريات، جلست فوق مقعد في فضاء السوق التجاري أراقب المارة من المتسوقين، صابه الانتباه للأشباح المتحركة في المجال البصري منقبة عن معرفة صادقة ابحث عنها للوصول إلى اليقين، جاء نادل المقهى هززت رأسي موافقة على شيء لم استبينه.

وأنا ارشف بقايا فنجان القهوة جلس في المقعد المحاذي لمقعدي، تلفت حوله ثم تشاغل بهاتفه النقال.

قال: هل يضايقك جلوسي

قلت: أبدا

قال: هل تنتظرين احد

قلت: لا

عندها قام وحمل اللفافة التي تضم مشترياتي، تريثت قليلا ثم نهضت غادرنا السوق عربته في المواقف، ولما جلست في المقعد بجواره التفت نحوي وقد اعترت وجهه بسمة صغيرة، شعت ابتسامة دفء في أطرافي وأن رأسي فارغا وثقيلا فقد قوة الإحساس بالأشياء التي تخلق الفعل المضاد.

غادرنا المكان وعبر زمن وأمكنة لم أتمكن من رصدها توقف لينفرج باب كراج سيارة آليا، إنها لحظات الشغف، باب المدخل لم يكن مغلقا ضوء خافت يشي الممر وصالة بمقاعد وفرش وثير تهمس بموسيقى هادئة، جلست وجلس إلى جانبي

تبلل السكون ليكشف عن مدى التناقض المصحوب بالتردي والسقوط؛ وقلق الذات لتحريرها من ركام ذكريات كريهة.

وانفرج باب جانبي فأطل من لم يلفته وجودنا يتحدث بانفعال مع فتى ناصع البياض، جلس الاثنان في المقعد المقابل وقد ران الصمت، أحسست بنفسي أغوص في أعماق غابة بغاية الراحة حتى اقتنص اللحظة الهاربة بسبب سلسلة من الهموم المادية والمعنوية؛ تلفت حولي قام مرافقي واخذ كفي.

رن جرس الباب كان مندوب مطعم حضر العشاء، رتب الفتى والأخر طاولة الأكل وارتفع صوت يعلن الانتهاء؛ تذكرت اقاربي وعائلتي الصغيرة وقبيلتي المشهورة، وبكوني دائمة السفر الى جهة غابت معالمها،كراسي الطاولة ثمانية ونحن أربعة تبادلنا حديث متقطع وتطلعت في ساعتي.

دخن مرافقي سيجارته التي أخرجها من العلبة القابعة على الطاولة، سحبت العلبة وأخذت سيجارة تناولها وأشعلها ومج دخانها ثم قدمها لي، الفتى يغطي جسده برنس حمام قصير لفت نظري بياضه واكتنازه.

نهض مرافقي وغادر غرفة الطعام التقت نظراتي بالأخر، تبسم ووقف بلا حراك كان لائقا في صمته، اللامبالاة تجاوزتني نهضت من مقعدي وأنا أدس بقايا السيجارة في الطفاية لما حاذيته أغمضت عيناي تصورت أني أجد فيه الخلاص.

في الواحدة صباحا كنت ادخل الدار لم يهتم كما هي العادة بتأخري فقد اعتاد الجميع ذالك؛ في الفراش استسلمت لخدر لذيذ وعذوبة وإحساس بالأمان معه نمت عميقا ليجتاحني حلما يشع نورا باهر، لمحت فيه الأخر يتمايل فرحا في حديقة من الزهور

يدعوني لمشاركته الركض ولما قاومت عضلاتي المتصلبة كان قد اختفى.

النسناس

ما أن أعلن قاضي المحكمة القرار الذي توصلت له لجنة التحقيق بعد سنة من جمع الأدلة ومقارنة الوقائع، بأن الموت جاء طبيعيا والانتحار يرجح في هذه الحالة إذ لم تؤدي الأسئلة المطروحة إلى تأكيد الاغتيال.

هنا صرحت كوثر باختصار للصحفيين إن موت زوجها جاء عبر مؤامرة لتصفية الحسابات بين أجنحة قوى سياسية تخشى انفضاحها.

تمددت كوثر في الفراش بعد حمام بارد وغفت لتستيقظ على كف تدعك ساقيها وتربت بهدوء وسكينة على ظهرها فتحت جفنيها وبرزت معالمه في عتمة الغرفة سحبته واندس في أعماقها بجنونه الذي يتحول إلى وجودية تدمرها، كل شيء فيه يعيد لها الحياة التي أهملتها منذ عشرة أعوام ففقدت مباهج السماء بعدما فقدت القدرة على الاستمتاع بالحلم في ليلة رطبة.

في غرفة الجلوس أخذت تقلب ملفا يضم معاملاتها المالية وجاء يحمل فنجان القهوة التي اعتادتها منه وجلس بجوارها.

قالت: هنا حسابات مكشوفة

قال: ثلاثة تم إفراغها وتحويل مبالغها إلى أمريكا وسويسرا

قالت: كيف

قال: قبل موته بثمانية أشهر

عرفت أن هناك تدني في الإيرادات وهنا اختلاف بين السجلات وكشوف باقي الحسابات، كما إن المكتب الرئيس في لندن منذ هجرتها وزوجها لبريطانيا تدنى أداؤه إلى النصف. بعد

قيام السيدة شيهانه الهندية الأصل؛ الطيف الذي تطابق بشغف مع ما يتعامل في أعماقها والقرين الذي عرف الأشياء. بتقديم استقالتها منذ خمسة أعوام وانتقالها إلى أمريكا.

شيهانه المدير الإداري والرئيس التنفيذي لمجموعة الشركات التي أسسها شريف وزوجته كوثر في لندن، تنفذ عبرها بالتعميد المباشر أعمال حكومية سرية تناقشها الصحف بخجل بحثا عن مصدر الثراء المفاجئ لابنة الرئيس المدللة وزوجها الغامض.

أغلقت الملف وتركت كفيها على الطاولة تسللت كفه حتى ربضت على فخذها شيء فيها ارتعش قاومته بالقيام، وقف قبالتها عرف إنها تريد منه المغادرة هم بحمل الملف أشارت بتركه.

عادت كوثر لتقليب الأوراق التي تجد فيها أصابع شيهانة؛ التي استطاعت كمخلوق شيطاني أن تستولي على جسدها بما تملكه من شغف لبنات جنسها، ثم وجدتها كطائر مهول تقترب أكثر من شريف الذي اقتنع بخبرتها فصعدت على حساب الآخرين.

صعود شيهانه جعل شريف يسمح لها بتحويل فوائد معاملات مالية تقوم بها الشركة لحسابها الخاص، ومع الوقت كانت ترصد قيمة بعض المعاملات في الحساب تهربا من الضرائب، ثم عرفت كوثر إن شقة شيهانه تحولت إلى مكتب عبره تدير شيهانه شريف بحضور بعض الفتيات واثنان من موظفي الشركة المحامي ومندوب مشتريات تخفي انه زوجها.

شعرت كوثر بالإرهاق من التفكير في معرفة مصير الأرصدة النقدية المكشوفة وتدني الإيرادات، ولم يمنعها هذا من استئجار محقق خاص للتجسس على شيهانه وشريف، فكانت

صدمتها كبيرة من خلال ما جاء في مظروف أرسله المحقق مع مندوبها الذي اختارته من بين طاقم الشركة بعناية، جاءت مواساة المندوب مؤثرة وهو يشرح لها معاناته من سوء المعاملة.

هنا وجدت كوثر في مندوبها وقد شعر برغبتها في من يشاركها ألمها برصد كل ما يدور، وتابع عمليات الشركة فارق السن كان في صالح المندوب الذي استطاع بحيويته وثقافته اللندنية ووسامته، أن يستأثر باهتمامها مما سارع في اقترابه أكثر.

والاثنان في غداء عمل كان التخطيط لموت شريف وسقوطه من الشرفة في الدور الخامس ليرتطم برصيف الشارع ثم تدهسه سيارة تفاجأ سائقها بالجثة أمامه، ولما حضرت الشرطة سلم نفسه وأفرج عنه للحضور لإكمال التحقيق.

كوثر جاء دورها إيصال صديقها للشقة، وانتظاره بدعوى إحضار أوراق تحتاجها كان شريف نائما تنبه على جرس الباب كانت الرابعة مساء الخادمة تتسوق والولدين في رحلة مدرسية والمربية تزور عائلتها، ساعده شريف في العثور على الأوراق واقترب من الشرفة لمعرفة إن كوثر تنتظر انحنى للتأكد عندها دفعه بهدوء.

تمددت كوثر في الكرسي المقابل للتلفزيون في غرفة الجلوس لم تهتم بالوقت، الولدين عند أسرة والدهم في القاهرة التي غادرتها منذ عشرين عام داعب الوسن مقلتيها ولما تنبهت كان الظلام مخيما والسكون حولها بدلت ملابسها واتصلت بالهاتف وجدته عند باب العمارة أخذها إلى مطعم احد الفنادق للعشاء تعلم انه سعيد، والحياة التي يعيشها تسحرها، التقت

احلامه الصغيرة بألمها لتشاطره الرغبات والمخاوف. وأقنعها بحجز غرفة.

في اليوم الثالث وهما يغادران الفندق وجدت شيهانة أمامها في صالة الاستقبال، اقتربت منها حدقت شيهانة التي تشتعل أناقة فيها ثم احتضنتها طبعت قبله على خدها الأيمن والثانية على خدها ألأيسر هنا التقى جزء من شفتي الاثنتان وسرى تيار كهربائي في الجسدين.

الواهن

كنفس خبيثة متلطخة بسعادة وهميه تسنم الحوار ليحفظه اليبس عن التبدد، وفي اعتبار تعقل ماهيته أشرق وجهي بنور صدق فزاد عندها حظي في المعرفة؛ فأدرك أني لا أصنع في السر شيئا استحي من إعلانه، تلفت والضيق يغمره في المجلس وقد عرف أن مكانه لم يكن هنا.

تحليق اشرعة منشورة

لم يخفق فكل شيء جرى على ما يرام، فنحن مدفوعين إلى المستقبل فالحاضر غير محتمل، وجاءت تبحث عن جواب حاسم قال بصوت واهن: هذا الائتلاف الصاخب بعث في شعورا بالضيق. قالت: لم تنظر إلى نفسك سوف تصاب بالدهشة ويمزقك الغضب عندما ارحل.

تمزق انسان مطلق

ألصقت وجنتها بوجنته، لطالما حاولت وفي هذا المساء نفذت حتى تقلص مساحة الاستياء، نجم التصرف عن حذر فطري، طوقها بذراعه وارتفع نشيجه بكاء.

طوايا نفس

كان من المستحيل أن نفترق، ولكن في داخلها شعور بجموح نحو أحاسيس جديدة، أقامت مع الزمن هوة بيننا فلم يحزنني رحيلها، لما هربت إلى هيثم ابحث عن الرفقة بدا هشا بقدر ما كان متوترا ومتصلبا، وجاء صوتها كخيوط خفيه لا يمتلك تلك البهجة التي أعهدها فيه، كنا ثلاثة يبتسمون غير إنهم لم يجدوا ما يقولونه.

في المرآة وجه يجهش بالبكاء

تجاوزت تعثر سوء من كان يتزود ممن لا زاد له، بعد ليل طال بلا قمر فتعلمت نشيدا منفردا اهجر فيه ظروفي الصفراء عن الحياة وهاجس الموت.

بكيت لما رأيت الضياع كمعشوقة تنزف كالشلال في كل اللحظات فأنا زهرة استثنائية في حديقة تعج بالبسطاء.

بعد زواجي تراكمت الخرائط بدوت صغيرة كحبة سمسم في بيدر امتدت فيه السنابل على مد النظر.

اختفى ذات ليلة وتواصل الاختفاء فراشي كسته السكينة، خفق زخرف الحياة المتعالي فقد ظله لأعرف انه تم توقيفه والتحقيق معه بسبب خلاف في إدارته، معها دخل السجن هكذا جاء اتصاله القضية معتمة.

تواصل همس زملاء العمل بغير الحقيقة فقاومت كل العواصف، وفي نهاية العام الأول لغيابه عرفت انه أفرج عنه، وسوف يعود لم اعترض فكان علي أن استعد للحضور، قنديل عتيق أسرج في داخلي يكشف الخراب وتراكم الغبار فلون طريقي الق جزائر اللؤلؤ حتى اعبر.

رن هاتفي النقال كانت إحدى صديقاتي اعرف عذابها قالت: عرفت من يشاركني التسول تحدثت كثيرا معها مزجت مداد قلبي باللون الأخضر، غادرت الدار للسوق من اجل إعداد لحظتي الجديدة، لفت نظري عند المتجر الذي أتسوق حاجتي منه شغبه يشاركني التجول والوقوف عند المحاسب ليتلقفنا

المخرج ويبتلعنا الشارع فشمس الله تشرق وقمر الخالق يضيء وكواكب السماء تلتمع.

لم أقاوم خوائه فقد نبه لحظة الابتسام، جمعتنا اللحظة تساوينا في صفة المنبوذين خطرت في أعماقي أزمان غير ذا الزمن.

قلت: هل تحفر

قال: نجرب

أنوجد الحال فقد وجدت من ينقب عن الحفر المندثرة في جسدي، غمر الصفاء أعماقي وانخضب السؤال؛ الهرب برزخ التائهين لا ادري كيف تغير لوني وكل خفق حكاية.

شعرت أني أغوص فيمتلئ جسدي بالماء وانتشي برواء المسافات واستعر المعنى المقشر بصورة ابني فتجاوزت الوصف وذهول الحالة.

الحفر حمل البشارة والتدفق شكل نطفة التكوين، فعلت شيئا مألوفا وقد تعودت النسيان. . الدقائق تكتم التفجر أنا اعبر نقوش البهاء، ساعدني كي أقوم من الرماد وارسم خط البدء والانتهاء ودقات قلبي أجدها تتجاوز جسدي النحيل.

المطر ينثال وأسترد معه الذاكرة التي فقدتها مرآة تريني اتصال متوتر، دورانه أدى إلى اتحاد وجداني مع وجود زرع في داخلي الهدوء والسكينة، القلق الطفولي تشكل ونظراتنا تلتقي تيقظ هاجسي كغيم تصاعد في الغرفة.

في مركز التجميل وأنا أعيد صياغة معالمي قالت إحدى العاملات وهي تنهي تشذيب أصابعي بعدما قصت شعري: ها أنت عروس لن يسأم رجلك من أنفاسك.

جاء لم يتحدث عن غيابه عانق طفلي، كفه الباردة عانقت كفي المفعمة بالحياة، لحظة التمرد انطلقت مع جسد غادرته حيويته لأنهض على شمس شتائية تضيء الغرفة.

نداء يزداد ثقلا

لم أفكر كثيرا فقد كان الموقف جاذبا رغم انشغالنا بمتابعة أخبار حادث مروع تبثه شاشة التلفزيون، وشأبيب المطر تنداح عبر زجاج المقهى واقتحام نداء يتكرر بين وقت وآخر في بهاء الفندق.

طلب احدهم نسخة من كتابي الجديد وفي الممر المؤدي إلى موقف السيارات حيث تقف عربتي اعترضت طريقي، تبادلنا حديثا غير مترابط سرنا للعربة ومع المطر غادرنا الفندق عبر حوارنا المتقطع؛ جاء وصف دارها مع إخباري بأنها تبحث عن من تشاركه الحديث.

لم يستقبلنا احد السكون يخيم على الدار أشعلت الأضواء أنفاس الحياة تكمن في تقاطيع وجهها وحركة كفها وهي تتحدث، نبهني جرس الهاتف تلفت حولي كنت في فراشي بغرفة الفندق وشعاع الشمس يضج ألق؛ عبر زجاج النافذة.

إدراك اكثر وضوحا

كما هي عادتنا عندما يتشكل تفكيرنا الجماعي تقاطرنا إلى البر، لنمارس لعبة العبث المجنونة في فضاء رحب بين الأشجار وفي منعرجات الجبال هذه المرة اتجهنا شرقا بوصلتنا طريق ازفلت متعرج كنا أربع عربات لثلاث عائلات أنا في سيارة أخي مع والدتي وزوجته.

لم نحتار في اختيار الموقع فتنادينا نتسابق نعد مكان لجلوس الرجال وآخر للنساء بينما الأطفال يتراكضون لاكتشاف المكان، ابتعدت مع مرافقتي بين الأشجار نصعد الجبل في تسابق معه تقطع حديثنا وفي الهبوط شعرت برغبة التبول فانعطفت خلف صخرة تضللها شجره وتقرفصت ولما قمت صفعني وجوده.

تبسم وهو يحدق في اقترب ومرر كفه على خدي الملامح الفاتنة غدت وجه طفلة بريئة التمعن عيناها من شدة الرعب عزلا حقا لحظتها؛ ساعدني هدوئه وحديثه الشفاف المتقطع على استعادة الهدوء، لما استقرت أنفاسي اعتذر عن إزعاجي ثم اخرج بطاقة بيضاء صغيرة دسها في كفي واختفى بين الأشجار.

سألتني زميلتي في العمل عن صاحب البطاقة التي وجدتها في حقيبة يدي بعد أن استأذنتني في استعمال هاتفي النقال في اتصال هام، تذكرته فأرتعش جسدي ولم أقاوم الاتصال به كان في رحلة عمل ووعدني باتصاله بعد عودته؛ غير أني اتصلت به مرة ثانية فشرح انه في رحلة عائلية.

جاء اتصاله في اليوم العاشر ودعاني لفنجان قهوة في مقهى اعتدته مع صديقاتي، فحددت مكان أخر لم يعترض وفي موقف السيارات بأسواق تجارية في حينا كان ينتظرني لما أصبحت بجواره في المقعد التقت كفي بكفه وفي المقهى عرفت انه بعد استقالته من وظيفته الحكومية فتح محلا تجاريا للأدوات الكهربائية وانه يقيم في شقة كمكتب وغالبا للسكن بالعمارة التي محلة يحتل احد فتحات دورها الأرضي التجارية.

تكرر تواصلي وكنت أزود زميلتي ببعض التفاصيل وكانت وهي تتنشق عطري وتعصر كفي تبحث عن المزيد فتضمني إلى صدرها في نزق طفولي، مداعباتها تلاقي رضا يسري في داخلي بعد تجارب زواج ثلاث أولها طلقت لما اكتشف أخي قبل أسبوع من حفل الزفاف إن زوجي متشرد وكذب علينا في معلوماته عن عمله، وقد وافق على استمراري بالعمل في وظيفة حكومية رسمية بدخل شهري ثابت حتى اصرف عليه.

والثاني جاء خالي خلال شهر العسل ليقول إن زوجي من أسرة لا ترتقي لحالنا الاجتماعي فكابر وطلقني، والثالث كانت أمه وخالته ضرتان لي أمه تقتحم لحظاتنا الحميمة وخالته تفرض ذوقها في اختيار ملابسي؛ فلم احتملهم فهربت من الدار وجاءت ورقة الطلاق مع عامل البقالة التي نتسوق منها بالهاتف.

دعاني لرحلة إلى شقته بعد مغرب يوم خميس قال انه رتب كل شيء العشاء والمشروب لم اقل لزميلتي إننا سوف نكون لوحدنا وأوهمتها انه عشاء في مطعم خارج المدينة حيث تنتشر المتنزهات ومدن الألعاب والمقاهي والمطاعم، كانت الشقة في الدور الأول الأضواء خافته وموسيقى راقصة تنساب بهدوء في

فضاءها، لمحت قارورة مشروب فوق طاولة بجوار التلفزيون اعرف إنها الخمر التي لم أتذوقها.

سكب في كأس وقدمه لي هززت رأسي معلنة الرفض تجرع بعض القطرات ولم اقاوم فتجرعت بعض المشروب، كانت هناك مأكولات خفيفة لم نكمل جلوسنا لتذوقها تدافعنا وإذا بنا ننهار وكل منا يأخذ ما يريد من رفيقه أصبحنا ساحات مفتوحة نتسابق في اقتحاماتنا لها تجاوزت الرهبة وهو تجاوز في القه كل ما تشكل في داخلي فأدركت الخير وطابت بذلك نفسي.

في التاسعة ليلا أوصلني للدار وقبل ترجلي من السيارة تلفت حولي خشية العيون شعر بخوفي فتحرك متقدما ثم انعطف في شارع جانبي وسمح لي بالنزول وقبل الولوج للدار لمحته عائدا ليطمئن على وصولي.

وفي غرفتي وأنا أبدل ملابسي جاء اتصاله لم يطل حديثنا وقد فتحت أمي باب الغرفة تطلب مني الخروج فزميلتي في العمل على الهاتف الثابت كانت تعاتبني لتورطها وهي تبحث عني في مطاعم الجهة التي أوهمتها بتواجدي بها.

فقد فرض عليها شاب حاولت الاستنجاد به في التعقب، ليورطها في تدخين الحشيش ثم تحت المخدر في سيارته حاول استباحت جسدها، تنبهت وطالبته بالعودة فأوصلها بالرغم من اعتراضها حتى باب دارها ولما ترجلت لم تجد سيارة زوجها كما إنها لم تجد ابنها بالدار وعرفت أن زوجها وابنها سبقاها إلى عشاء للعائلة؛ وهاهي تستعد للذاهب مع سائق عربة والدها وسوف تحاسبني على جريمتي.

بعد تلك الليلة اختفى هاتفه الثابت لا يرد وهاتفه النقال مغلق زاد قلقي ووجدت زميلتي بعد شهرين من القلق والتوتر؛ وأنا أتخيل نتائج مدمرة حدثت فتلبسني الخوف والسخط من كل شيء إن شفائي آخذها إلى المكان الذي تعشيت فيه.

بعد تردد كنا نطرق باب الشقة فخرج طفل في الرابعة لم نفهم منه ما نبحث عنه؛ ودخلنا اعرف الأثاث والممرات لتستقبلنا غرفة بها سيدتان أعمارهن متفاوتة أكبرهن ترتدي ملابس سوداء صورته معلقة فوق الجدار ونحن نخالس الحديث كانت المفاجأة هذه أمه والثانية أخته والطفل ابنه.

الرجل تعرض لوعكة صحية ادخل معها المستشفى وشخص المرض خطاء فتضاعف ثم مات شعرت بانقباض، كان ملك الموت يربت على كتفي أنا التعسة كشلال هادر ليهدم ركنا من منزل بناه وهمي فشل أطرافي؛ لمحته زميلتي فاستأذنت أمسكت بيدي وغادرنا المكان.

اعتراف بأمر يخصني وحدي

قال: لا أعرف أبي عندما تفتح ذهني كانت أمي هي كل شيء، في الثامنة من عمري وبناء لدعوة ملحة من خالتي كان سفري الأول ومعه عرفت قيما جديدة وناسا لهم حراكهم الخاص والعام، وها أنا وقد تجاوزت الخمسين أسير وحيدا في مدينة لم تشكل شوارعها وضجيجها أي نقطة حياة في وجداني.

قال: وأنا في الرابعة عشرة من عمري كان علي العمل خادما في منزل احد أقارب زوج خالتي، وفي الشهر الرابع وعند غياب رب الدار اكتشفت فصلا جديدا من حياتي من خلال سيدة الدار التي أصدرت أمرها بأن أراقب طفلها وأنا أقوم بغسل بعض الملابس، لما انتهيت حملت الطفل وبحثت عنها؛ فوجدتها في غرفة الضيوف تتحدث عبر الهاتف، لما لمحتني أغلقته ونهرتني وهي تغطي عريها ثم سحبت الطفل مني واختفت.

قال: في السادسة عشرة تعرفت على رفيق الدراسة في المرحلة المتوسطة صالح فتى فلسطيني يلاحقه الأقران لكسب وده، ذات ظهيرة شاركت في عراك آخرين تطاول بعضهم بالفاض قاسية عليه وعندها عرف أبناء الحي قدرتي في القتال.

قال: جارنا رجل عسكري شارك في حرب فلسطين تأخر زواجه بسبب تنقله في مهام عسكرية ورعايته لوالدته وأخته التي لم يتقدم احد للزواج منها، وأخ يقاربني في العمر يأتي في العطل والإجازات؛ فأمه الزوجة الثانية لوالد جيراننا المتوفى منذ زمن بعيد والمتزوجة من أخر وافق على بقاء ابنها معها.

قال: توفت والدة جارنا العسكري الذي استقر ترحله بسبب وصوله إلى منصب قيادي في قطاع التدريب العسكري، معها فكر وقد تجاوز الأربعين في الزواج فكان له ما أراد؛ كانت الزوجة من أقارب والدته تصغره بعقدين من الزمان توافقت خطوطها مع أخته فوجد في السكينة التي لم يقلقها شيء سوى تأخر حمل الزوجة ليكتشف انه عقيم؛ وإنها تحتاج إلى علاج طويل لتتجاوز حالتها وان كانت النسبة متدنية.

قال: بعد عشاء يوم اخذ الجار زوجته إلى راق وصل منذ أيام من دولة عربية في ضيافة شخصية معتبرة بعد ترتيب مسبق كنت العب مع الزوجة ومع الأخت الكيرم، تشاركنا الخادمة الأفريقية اللعب والصراخ. . بقيت والأخت وانشغلت الخادمة بشئون المنزل وواصلنا اللعب أنا والأخت.

قال: في اتصال هاتفي دعتني الأخت لأمر هام عرفت إنها قلقة بشأن أخيها وان تأخر زواجها جانب منه خوفها من عواقب فقدها لعذريتها بسبب مداعبات احد أفراد المركز الذي تولى إدارته أخيها وهي في العاشرة من عمرها لتدخل الزوجة متلبسة اللحظة فتنقلت نظراتها بيني وبين الأخت ثم جلست بيننا لتلتفت نحوي وتقول احبك وتلتفت نحو الأخت وتلتحم بها وتقول بصوت مرتجف أعشقك.

قال: قلق الأخت انساب إلى أعماقي ووجدته في حديث أمي وأختها وانساب بعضه في يومي الدراسي من خلال مشاركتي في صحيفة حائط للفصل ناقش فيها احد المشاركين نعمة الدنيا الأطفال.

قال: كنت حقل تجارب وجد في الجار من خلال زوجته وأخته جزءاً من الحلم فقد تجاوزنا الحديث النظري بمناقشة

العمل والخطوات فكان أن تم عقد قران الأخت على قريب للأسرة ولم يتم الزواج إذ اكتشف الجميع أن أمه أرضعتها فكان التفريق .. معه اتفقت الأخت والزوجة على تجريبي سافر جارنا في رحلة عمل تجاوزت الشهرين كنت فيه البديل للزوجة ولم يظهر الحمل عندها جاء دور الأخت التي رسمت كل شيء فجاء حملها؛ فرح صامت عم الدار وعند الولادة أدخلت المستشفى باسم الزوجة.

قال: تخرجت من الثانوية وكان السفر الثاني للدراسة الجامعية تركت أمي في ضيافة أختها الأرملة وعند التخرج كان الحفل برعاية قريب زوج خالتي عندما صافحته مستلما شهادتي حدق في، لم ينبس بكلمة وان كنت شعرت بانقباض وهو يخافت الواقف بجانبه بشيء وانصبت نظرات الاثنين كسياط تلهب جسدي.

قال: بعد حصولي على الوظيفة جاء سفري الثالث وفي نهاية الشهر الثاني استسلمت أمي للمرض وجرى إدخالها المستشفى وأنا أراجع في أوراق نقلها للعلاج في مستشفى متخصص، لفضت أنفاسها وفي المقبرة شاركني أبناء خالتي في الدفن وتقبل العزاء، وكان بين المعزين جارنا العسكري الذي خط الشيب فوديه، احتضنني وأجهش بالبكاء.

الحكاية تخدع الصنم

هي لحظة تشكلت خارج سياق حياتي الممتلئة: الانشغال بالعمل ومتابعة حالة والدتي الصحية ومشاكل شقيقتي المتزوجة، وتدني درجات التحصيل العلمي لشقيقي الوحيد واهتمامات والدي بمخرجات عمله على حساب هدوء الأسرة وبالدراسة والبحث العلمي.

جاء من أقصى الجنوب بحثا عن العمل وبما انه من عائلة أسرة والدي؛ فقد حصل على وظيفة في الإدارة التي يرأس والدي احد إداراتها، ومن هنا كان يوفر لي بعض مطالبي كباقي أفراد الأسرة عندما نستعين به، وكان احتفالي بحصولي على درجة الماجستير مناسبة للزميلات لإقامة حفل خاص. وجاء ليوصلني للمنزل كانت معي أخرى أوصلناها لمنزلها في شمال الرياض متجاوزين الحي الذي اسكنه أولا؛ الإصرار جاء مني لم أقومه حتى الآن وان انبثق من وجودي وأزمة تماهي خضت معه عملية إدراك كجزء من نفس توقف تحليلها بسبب غمار حرب أعلنتها متجاوزة عمليات اختزال اشتركت فيها.

ساعدني في إنزال بقايا الحفل في مدخل الدار الذي يعمها السكون، والدي مسافر ضمن لجنة لتطوير فرع جديد لإدارته، وشقيقي المراهق مع أصدقائه بالمقهى ووالدتي في غرفتها تتابع حلقة جديدة من مسلسل تركي ناطق بالعربية يبثه التلفزيون في غرفتها.

أمسكت بذراعه ودخلت الدار، العتمة تلف الصالة والدرج؛ لنلج غرفتي تطلع في مبتسما، في كمالية متجاوزة أزمنة كان

التطابق ممتنعا فيضها؛ تفتحت أكمام لذات علا في الوصول إلى كمال المدرك الذي معه انبثقت اللحظة.

شيء فيه أشعل شهبا ذهبية في فضاء الغرفة، وتدفقت الحياة في داخلي متجاوزة الخوف والفزع الذي كونه قلق عرى وجودي؛ ففقدت رشدي وشنقت كلماتي ممزقة بين السلوك والصيرورة، تجاوزت التوتر وإشكالات تصدم اعز أحلامي وتفاصيلها الصغيرة وأحداثها الثانوية، ودب التعب في أطرافي إنها المرة الأولى التي لجمت أفكاري؛ كمن حبس أنفاسه حتى يؤخر اللحظة التي سيتألم فيها.

كانت علاقاتي العبثية والمحدودة صور خيالية عبر الهاتف أو خلال لقاء في مكان عام يمثلها كمال وجود بحت، ولحظات عبث تقدم عليها إحدى صديقاتي عندما نختلي فجأة، غادر الغرفة لم اهتم بما يحدث كمن أصيب بصعوبات في الذاكرة الفراغية، انزلقت في خدر ونمت كما لم انم خلال ثلاثين عام؛ على طاولة الغداء قال والدي إن سعد سافر لمعاينة والدته المريضة، تذكرت ليلتي وكيف اجتاح هذا السعد جسدي واستباح حصوني تركت الطاولة. دخلت غرفتي رائحته في الفراش؛ نظرت إلى وجهي في المرآة فوجدت ملامحه الخالية من الغموض ينضح غبطة صافية ورغبة في تأكيد وجودي، وأثاره في كل مكان لم أقوم الفعل الذي خططت له كل قوى الشر، ودرجة الرغبة التي كنت عليها وان شعرت انه تواءم مع تضاريس جسدي واهتمامه الذي اثر في نفسي، وفق زمن إبداعي هو شكله فتحكم عن غير قصد في هيمنته فلم يهتم بسلبيتي الفاحشة.

رن الهاتف كانت أختي تخبرني بقدومها دخلت الحمام استحضر ذاكرتي؛ ابن أخت زوجها المبتعث يرغبني زوجه لم اعترض ولم أفكر كثيرا جاء زواجي مبسطا وعائليا في ليلة سفرنا؛ قالت أمي وهي تودعني إن جارتنا طلقها زوجها الذي تأكد أنها مريضة بسبب الصراع الاجتماعي الذي فرغ مقاومتها والطبيعة القاسية التي اندمجت فيها بسبب مغامرة كانت وراء عذاباتها؛ فلم تملك أعصابها فانهارت نفسيا.

في ارض الغربة قررت إكمال دراستي الجامعية إذ تمكنت من اخذ موافقة الجامعة التي يدرس بها زوجي؛ بعد أشهر من انتظامي بمعهد اللغة لتنمية مهارتي في المحادثة عند التسوق، وفي اتصال بأسرتي اخبرني والدي وهو يخبرني بموافقة جهة عملي على الدراسة وتحويل غيابي بعد إكمال السنة الإجازة بدون رواتب إلى مبتعثة من مرجعي بعودة سعد، لما سألت أختي عبر الهاتف عنه لم تقل شيء.

اخبرني زوجي انه استتم دراسته وقد تبقى علي عام حتى أناقش رسالتي وباتفاق مع والدي بقيت لأجد ذات صباح سعد يقف على الباب، انبهاري باللحظة شلتني تراجعت أغلق الباب وامسك بكفي أجلسني على احد مقاعد غرفة الجلوس وجلس في المقعد المقابل لم نتحدث؛ المكان واللحظة عبرا عما يتعامل في داخلنا عرفت انه جاء مع والدته المريضة.

نهضت لأحضر مشروبا من المطبخ لحق بي شيء فيه يمتلكني وفي أعماقي تتشاجر المشاعر حول الصلة المنظورية، وأنا انظر إليه من الداخل سعيا إلى الأمان وفق حالتي التي يصرفها عناد أعمى.

كان يعيد ترتيب حواسي، فمشاعر التأزم والتمرد أفقدتني قوة الإحساس بالأشياء التي تخلق الفعل، وكما كان في اللحظة الأولى منذ عامين، تركني في الفراش وأختفي ليأتي هاتف والدي إن سعد عاد وان أمه ماتت تحت أجهزة العملية الجراحية.

جاء أخي وجاء زوجي وشاركاني حفل منحي شهادة الدكتوراه لنعود ثلاثتنا، عدت لعملي وزميلاتي لأتولى إدارة المتابعة والتطوير فيها خليط من الموظفين، وبعد ظهر يوم عمل حافل بالاجتماعات ومشاكل احد الفروع جاء صوت سعد عبر الهاتف يقدم تقريره عن الفرع لم استوعب النقاط التي تحدث فيها؛ فقد فوجئت بعد عام من استلامي رئاسة الإدارة أنه احد العاملين في إدارتي.

غادرت المكتب لأجده يقف بسيارته لم أتردد في الركوب انطلق مندغما في شوارع اعتدتها ليقف أمام منزل اجهله ترجل ولحقت به ترك الباب مشرعا أغلقته، لم يعد هناك ما يمكن أن أخشاه واخذ يدور بي في فضاء لم استبينه بسبب تراكم الصور التي هاج معها التلذذ الباعث للشوق متجاوزة التأمل، هذه المرة كنت املك حق المقاومة واستطاع الحلم إخفاء الجدار الفاصل بين الوهم والحقيقة، في سيرة ذات تبحث عن وجودها.

إنما جاء مكتسحا كل شيء اغترف ما شاء وقدمت له ما يشاء؛ وليطلقني زوجي الذي قرر الهجرة إلى لندن حيث استعار خدماته مؤسسة إعلامية تخطط لإصدار صحيفة عربيه ، وفي أحشائي بذرة اجهل قاذفها؛ تشكلت طفلا ذكر احتفلت به أسرتي فأسميته سعد.

سفرُ الزهور الصفراء

نحن نستطيع رؤية الأشياء ولمسها، قضيتي وفق نظام اجتماعي غارق في الخصوصية. مجتمع غير طبقي تشكله الأسرة والعائلة ورابطة النسب؛ زيادة دخلي المادي والاستفادة من كل الفرص التي تعترض طريقي، ملتمسا الطعام ولو في الكهوف المظلمة.

جاء اتصاله في العاشرة صباحا بمهمة جديدة، نقل ضيوفه إلى مزرعته في عشيرة شمال الطائف لتناول طعام الغداء وقضاء بعض الوقت بين الأشجار وخرير المياه، كان الضيوف سيدة وابنها في الخامسة من العمر مع مرافقاتها الثلاث.

طريقنا الذي لم يستغرق الساعة، تجاوزنا وحشته بحديث متقطع تبتدره السيدة الجالسة في المقعد الأمامي مع ابنها ثم تشركنا عنوة فيه، وفي الثانية عشرة ظهرا جاء مع طعام الغداء، وبعد تناول الشاي قامت أصغرهن بأخذ الطفل ومغادرة المكان، واختفت السيدة مع الأخرى بينما العجوز أسبلت جفنيها وارتفع شخيرها، كنت الجالس الوحيد وأمامي الفضاء وندف السحب.

قمت متلفتا حولي وقد تسرب الملل إلى أعماقي، واندغمت في ممرات المزرعة ارتب أفكاري لأجد الطفل والفتاة يجلسان على حافة بركة ماء تتسرب منها مسارات سقي مربعات تم حرثها وأخرى مزروعة بأشجار فاكهة الصيف، توقفا عن خوض المياه بكفيهم عند اقترابي؛ ولتجاوز أفكاري حطمت حمى التوتر فحملت الطفل وحاولت غمس قدميه بالماء وقد

ارتفع احتجاج الفتاة ففجر قلقها وصخبها يقيني الموحش بالتيه؛ فتعانق حديثنا شوقا طهرته الصبوة.

في الخامسة مساء أعدتهن للدار التي نقلتهن منها بشارع عكاظ، وفي ظهيرة اليوم الثاني جاء اتصاله بأن علي إيصال ضيوفه إلى جده حيث أنهن وافقن على أن أكون قائد رحلة العودة، عرفت أثناء الطريق إنهن من حاشية زوجة شخصية سياسية واقتصادية، يتولى صديقي إدارة أعماله في الطائف.

ونحن نلج القصر في جدة قالت الفتاة للعجوز إن عليها تبديل ملابسها، واقترحت أنني من سوف يحقق مطلبها ومع اعتراض العجوز وافقت؛ والتفتت نحوي هامسة بسرعة أرجوك فلا احتمل غضب العمة، أحيانا اللغة قادرة على تحقيق التماثل بين شخصين غير عابئة بالمكان والموقف متجاوزة لعبة الخداع معتمدة على حاجات الآخرين وقدرتهم على الفعل.

طلبت مني مرافقتها وأنا احمل حقيبة جلدية متوسطة الحجم، لتشكل اللحظة قصة خرافية في سياق تراكم انضغاط زماني ومكاني مفرغ من قوة التخيل، لتشع شمس الحقيقة وفق مسميات ومعلومات لفضية تصل انحباس اتصال. كل ما يحتاجه حركة معينه تطلق شرارة الوجود، فكانت الفتاة الشفرة المفهومة بين كل ما حصل، دفعتني إلى حرث تفاصيلها الصغيرة بمهاراتها المكتسبة من مخالطتها سكان القصر حيث تعمل أمها دادا نفيسة التي تربت العمة في أحضانها في بيت أسرتها بالرياض؛ وأصرت على إن ترافقها في منزلها بجدة كأم وراعية لشئونها الخاصة.

وهي تترجل من العربة قالت: سوف تكتشف رائحتك وتشم عرق جسدك عندما اقترب منها وهذه طاقة تكتسب أهمية

إضافية في الصراع، لم افهم مقصدها وأنا استعجل الفرار بحثا عن مسحة من المواساة الروحية في مكان عام اعتدته؛ تهدئ زواياه روع المشاعر الممزقة التي اجتاحتني.

وأنا في حمى تحليل ما يوجد حولي في توافق قدرات ومعرفة اكسب بها خبرة في مجال سوق معارض السيارات وذكاء الشريطية في البيع والشراء، عثر علي صديقي الذي انقطعت أخباره لسفره للعلاج من مرض الم به على حساب سيده، بعد فشله في الحصول على أمر علاج من وزارة الصحة بسبب عدم قناعة اللجنة الطبية المركزية بحالته، وصرخ في منفعلا: لقد أمرضتني العمة تبحث عنك.

بعد جدل واستفسار للموضوع اخرج من جيبه ألف ريال وهو يقول هامسا: بنزين السيارة ومصاريف الطريق، التساؤلات لا أهمية لها الآن وقد اجتزت نصف الطريق المؤدي إلى جده، السذاجة دفعتني إلى المنزل الذي عرفت أن الفتاة وأمها وبعض العاملين في القصر يقيمون فيه والمكون من طوابق ثلاث وشقق تعج بالسكان.

طرقت باب الشقة التي لم يغب رقمها عن ذاكرتي تأخر الرد فكررت الطرق لينفرج الباب عن وجه لم اعرفه قال: نعم قلت: حامد. دققت النظر في ثم انسحبت تاركة الباب مشرعا العتمة تضيع معالم المكان فأخذت أركز على مخزون الذاكرة منقبا عن المعلومات التي كسبتها في زيارتي السابقة.

لأجدها تجلس على احد مقاعد غرفة الاستقبال

قالت: تأخرت

قلت: ضيعت معالم الطريق

قالت: هل علمت أن فاطمة حامل

قلت: من

قالت: أختي الصغيرة

قلت: كيف تريديني أن اعرف وأنا لا اعرفها

قالت: ألا يذكرك المكان بها

كانت هذه نقطة حساسة نبهت مشاعري التي كانت حتى هذه اللحظة خارج الزمن اعتبر دائما أنني في مكان أخر وان كل لحظة خاصة إنما هي بلا أهمية.

قلت: بلا

لم يكن هناك احد كانت ترتب للأتي: زوجه منذ عشر سنوات فشلت كل محاولاتها في الحمل، فقد جدفت بكل طاقتها والآن بعد حمل فاطمة سوف تجرب محاولة أخرى شعرت بنفسها حمقاء ومزاجها العكر ينفر الأشياء الجميلة التي نسقتها بعذوبة متوحشة فوق ارض بور. لتتفجر حمى اللحظات الأخيرة، انشرحت أساريرها فأشرقت ملامحها الصارمة مرحا وشبابا.

رافقت صديقي في رحلته العلاجية الثانية التي استمرت أشهر ستة، تجاوز فيها مرحلة الخطر وعاد صوته الجهوري يقلق صمتي ويشاغب بحروفه النحاسية الثلج المتراكم في أعماقي، الذي خلفه رحيل عاملة بالمستشفى تم فصلها بعد اتهامها بتكوين علاقات جنسية مع مرضى معينين تبتزهم، لم أجد هذا في علاقتي بها والتي تأتي وفق انبثاق خاص إنها الربة الطيبة وعذراء المكان الرائعة. ولده تجانس فكري نماه حرصي على إتقان لغة أجنبية استعين بها في ركضي وشعوري إنها أجمل واحدة في مجموعة العاملين بالمستشفى.

لما عدنا للطائف كان الشتاء يخيم على المدينة بشوارعها الخالية من الحركة وناسها ألمقطبي الوجوه، ليها تفني صديقي

في ساعة متأخرة من الليل بأن عمه أخيرا رزق بابن، فر النوم من عيني وتذكرت فاطمة بنت الطبيعة الطيبة؛ الفتاة البائسة وهي تلوي أصابعها وتلوح بكفها رفضا لواقعها، غضب وإحساس بالفضيحة طوقني، غادرت الدار ركبت سيارتي لا ادري وجهتي لأتوقف عند مقهى مسافرين صغير تلفت حولي وطلبت من النادل كوب شاي. بعض المسافرين حولي وحديث متقطع هنا وهناك، لأتنبه على صوت النادل يطلب ثمن الشاي، عدت أدراجي وشمس الصباح بأشعتها الذهبية تنير الطريق، عدت للدار وصوت أمي ينساب عبر الجدران، كانت تطوي سجادتها رمقتني بنظرة وجله قبلت رأسها ودخلت الفراش.

عاطفة

بغباء شديد. جاء انتظاري وفق هواه، فلما عدت للدار ممزقة شعرت أني فقدت ذاتي، وعلي إعادة صياغة مسلمات قادتني عنوة، لتأتي أختي والكون لا يسعها لتخبرني أنه جاء ووجدت فيه كل المتع التي لم تنعم بها في حياتها، فلم أجد غير الحسرة عزاء لقلبي.

كولاج

كان وجدتها جذابة في بداية الأمر، تمتعت بإيقاعها في حبائلي، فتمادت في التفاخر لأكتشف وصديقي يتحدث عن ألمه، أنها تميز نفسها وبتيه الطبقة التي تنتمي لها. كيف تزدري المشاعر الهزيلة التي تلاحقها.

الممثلة تقفز من النافذة

وانا على مشارف الرياض استوقفتني اضواء سيارة على جانب الطريق، بعد تردد تمهلت حتى توقفت، لأجد احدهم يتلمس المساعدة لعطل محرك العربة، ثم جاء صوت انثى من خلف العربة تطلب الفزعة، عندها وافقت على حمل المرأة ومرافقتها بينما يصلح عطل السيارة ويلحق بنا في الطريق ومن الحديث المتقطع، عرفت اسباب قدومهم للرياض لحضور مناسبة عائلية، ولما اندغمنا في شوارع الرياض اكتشفت ان الأثنتين لايعرفن عنوان المكان المتجهات له ولايحمل مايثبت هويتهن لاستئجار غرفة لهن بالفندق او شقة مفروشة، وابدين موافقتهن على مرافقتي الى شقتي، مع معرفتهن انها خالية فزوجتي عند اهلها في شقراء تضع ابننا الثاني، نمت في غرفة الجلوس وفي الصباح ذهبت للعمل، ولما عدت لم اجد احد ولفت نظري ورقة ملصقة بمرآة مغسلة حمام غرفة النوم (بكل اسف استعرنا بعض اثاث البيت لتسديد قيمة اصلاح السيارة ونفقات الرحلة. غيداء) ركضت بين غرف الشقة المفقودات جهاز حاسب والتلفزيون في الصالة واجهزة هاتف مندسة في درج كمدين غرفة النوم، وبعض ادوات المطبخ الكهربائية بما يعني مبلغ عشرين الف ريال؛ انهرت على احد مقاعد غرفة الجلوس وبعد تفكير اتصلت على الهاتف الذي يحمله سائق السيارة المتعطلة فكان مغلق؛ ورقم اخر وجدته في هاتفي اتصلت عليه المرأة ونحن في الطريق فوجدته ايضا مغلق، وعلى رقم احتياطي استعمله عند السفر ضمن الجولات المسروقة رن حتى

توقف، اخبرت زوجتي بما حدث وضحك مني والدها عمي وباقي افراد الأسرة، ليقول احدهم انه يعرف من يأتيه بأسم صاحب الهاتف المجهول للوصول الى هوية من سرقني، الرقمين باسم واحد تم ايقافهم واستخراج البديل؛ نسيت الموضوع وعادت زوجتي بعد تجاوزها الام الولادة، وبينما وهي تقوم بتنظيف غرفة الجلوس وجدت هاتف نقال مغلق بسبب طول المدة، الجهاز مجهول والمكان الذي وجد فيه مكشوف؛ اعدت شحن بطارية الهاتف واخرجت شريحته وادخلت شريحة هاتفي، ووجدت في ذاكرة الهاتف ارقام واسماء وفي الأستوديو بعض الصور لأجد سيدتين لفت نظري جمال احداهن وعندها انفجر صمت زوجتي انها مزنه واختها غيداء، واسترسلت زوجتي في الحديث عن غيداء زميلة الدراسة في القرية اتي تسمي نفسها سعاد حسني الممثلة من خلال حراكها داخل المدرسة، ووالدها احد مدرسي المدرسة الوافدين من الشام ورحيلهم بعد انتقال عمل والدها لمكان اخر، اتصل قريبي بعدما وصلته المعلومات ليخبرني ان المعام يستقر بالرياض وابنته غيداء حصلت على الجنسية بعد زواجها بمواطن وكذلك اختها مزنه انما هي بسبب تطلعها الأفضل تسبب في طلاقها ولتجد في احدهم شريك في بحثها عن معاش امن ورفاه تقلد فيه من حولها.

جموح حدث الوقت

لما عدت لمدينتي الطائف المأنوس التي هجرتها حتى اكتشف ذاتي؛ لمواصلة الركض مع انسه وجنه وعبر حافات ارض تفوح برائحة زهر طبيعي، لم أفكر إن الفرح بحثا عن الطمأنينة عبر أناشيد الليل وسكناته، سوف يتحول إلى مغامرة اشعر بوخزها حتى بعد رحيل من غرر بي لاشارك، جاء اتصال هاتفي تطلب صاحبته المساعدة في نقل ابنها الصبي للمستشفى؛ هي زوجة زميل عمل مسافر في مهمة رسمية.

رافقنا في إسعاف المريض مع الأم أخرى عرفت أنها شقيقته الكبرى، وبعد ساعة من المعاينة نصح الطبيب إبقاؤه تحت المراقبة في المستشفى فتابعنا نقله لغرفة التنويم في الدور الرابع، وبعد وقت من الاطمئنان على الترتيبات عدت بعد غروب الشمس ومعي الأم والمرافقة التي طلبت البقاء فلم توفق.

والأم تترجل من السيارة أصرت على دعوتي لشرب فنجان قهوة تقديرا لمساعدتي، ترددت وأمام إصرارها ومكوثها في فتحت الباب؛ ترقب استجابتي استسلمت. فأفسحت الطريق ودلتني على غرفة الجلوس ثم اختفت.

ومع قلق الترقب هلت وقد تغير مظهرها حاملة صينية براد الشاي، جلست كل شيء فيها يوتر شعرها الأصفر وجهها الأبيض الضاج بالأصباغ، ولما نهضت لإحضار دلة القهوة؛ ركزت نظري على خطوط ظهرها. مشكله عصف تتفتح أكمامه.

وبعد ساعة من الحديث المتقطع رافقتني حتى الباب، كانت أنفاسها تلفحني مع تركيز نظرها علي وأنا أتمتم بالشكر واني سوف اطمئن على المريض حتى عودة زميلي من السفر؛ افتر ثغرها عن ابتسامة رضا. وقلاع دهشة وتعجب تنبعث في الفضاء.

في اليوم الثاني رن هاتفي. كانت هي تخبرني بقلقها وان ابنها اتصل يطلب ملابس للنوم وغيار داخلي، مع غروب الشمس أخذتها للمستشفى، وطال انتظاري غير أنها جاءت وقدمت لي وردة حمراء. فانبعثت الأفكار عبقة بالأماني والرغبات.

أثناء الطريق فكرت في دعوتها لتناول العشاء، ولما بحت بذالك وافقت، وفي العاشرة ليلا ونحن في طريقنا لمنزلها ولما وصلنا دعتني للدخول، العتمة حولنا اقتربت بلا غاية إلا نشوة الوجدان وحلاوة اللحظة. هل هذا كان متعمدا وهل تصرفنا عمل حقيقي، تلاعها تمتص رحيق الحياة من غيظ ترسب في أعماقها ونفس معجبة بذاتها ليزداد القها.

تأخرت عودة زميلي ومدد المستشفى إقامة الصبي لمزيد من الفحوص وبهاء سيدة الموقف ينثال في حديثي وهمس الأصدقاء، ونظرات الزملاء تزرع الخوف في داخلي ليدخل الصورة الشخص الثالث مرافقتنا في الذهاب للمستشفى في الخطوة الأولى، كانت ابنتها التي هجرت منزلها في الرياض بسبب اكتشاف زوجها إنها تتواصل مع آخرين عبر الهاتف وصفحة في جهاز الحاسب وغرف الدردشة.

جاء هاتفها تطلب مني المساعدة في إيصالها للمستشفى الذي سبقتها إليه والدتها، كانت الساعة الثالثة عصرا فتحت الباب

تشبه في تقاسيم وجهها أمها مع سمرة مكتنزة الجسد ترتدي فانلة علاقي تكشف بطنها وشوورت جينز، طلبت مني الدخول حتى تغير ملابسها. وفي طريقنا للمستشفى تبادلنا أطراف الحديث؛ وعرفت أنها ترددت في دعوتي حتى لا يحدث شرخ في السكينة التي تعيشها؛ يعصف بحياتها. فذهنها قلقا ومغتما خشيت تصدع الجدران. بعد اربعة أيام خرج الصبي من المستشفى وعادت الابنة للرياض بعد اعتذار زوجها الذي حضر للمشاركة في احتفال عائلي بسلامة الابن، وعاد زميلي في العمل الذي كان في رحلة استجمام بعد انتهاء مهمة العمل الرسمية، ليأتي هاتف الابنة قلقة من انقطاع هاتف أبيها وأمها المسافرين لمعرفة أخبار أخيها الذي تم عرضه على متخصص لمعرفة علته، وشاركها في الحديث زوجها وعرفت إن ذلك جاء منه للتأكد أن زوجته تكلم شخصا عادي يحمل نفس يوجعها جهله بنهاية طريق يسير فيه. فما زال يرتاب في تصرفها.

قال الزملاء الكثير في خليط من الحديث الخاص، وفيما جاء من تعليمات صارمة يسندها نظام إداري جديد لتسريع انجاز العمل، ليلتفت نحوي جاري في المكتب وليقول بلهجة ساخرة في همس سمعه البعض، إن زميلنا عبد الله الغائب في إجازة ترقى في السلم الوظيفي لمنصب قيادي في فرع أخر بمدينة جده، وافق عليه وسوف يستلمه بعد انتهاء إجازته. هززت رأسي متجاوزا أوحال المستنقع الذي سوف يخوض فيه؛ ورمقته بازدراء غير ناشئة عن ضغينة إنما عبر إحساس بهي عبق بإيمان عميق رفع حجاب كنت أتوارى خلفه،واندمجت مع زميل أخر في ماكنا نناقشه وقد توقفنا عن دراسة مابين أيدينا من أوراق.

الفضول يغير المعالم

والحفل يعلن ختام برنامجه جاء جلوسي لشرب فنجان من القهوة المرة سكبه نادل يرتدي ملابس تراثية ملونة على طاولة بعيده، من خلالها انقل بصري بحرية في زوايا المكان، لتأتي وتجلس بجواري تبادلنا حديث تقطع وتعليق على فقرات الحفل ليرن جرس هاتفها النقال، عرفت إنها كانت تنتظر وقال المتحدث شيء معه تركزت نظراتها علي وهي تردد لا أدري لا أدري ثم تلحقها بقولها تعال جس النبض.

وأقبل كان زميل في المؤسسة الصحفية التي أتعاون معها، مد كفه مرحبا وهو يردد: أخيرا أخيرا ليذكرني انه سعى كثيرا لكسب ودي إنما لم يحالفه الحظ؛ ثم تركنا لتقول: أنها مدعوة لحضور لقاء خاص مع صديقة تأخرت في الحضور، كل ما شعرت به كان فضولا موضوعيا وعنيفا؛ وأنها تتمنى علي مشاركتها اللقاء وكفها تضغط على كفي الرابضة على الطاولة.

كانت منفعلة إلى حد ملائكي وهي تقربني من أجواء المناسبة، كنت اعتقد إنها سوف تتحفظ وهي تقرب لذهني إمضاء وقت عصي التفاصيل وأحمق، ابتسمنا لبعض بتواطؤ عذب وقلت: إن الوقت الذي أمضيه برفقتك من أجمل ساعات حياتي؛ فقالت: وهم. . . المهم موافقة.

ليس من المستغرب أن يكون السعي إلى تحقيق معجزة، فاتحة طرق أمام لحظة انبثاق جديدة تولد الحرارة التي معها يتشكل البدء برؤية مغايرة. تمنحني الثقة بالذات وأنها محاولة

اعتدتها تبدو لي في هذه اللحظة بالغة الشفافية فيها أراجع نفسي ولا اغرق في تعاستي.

وجاء بعد اتصالها كانت الساعة العاشرة ليلا، نجلس في المقعد الخلفي من سيارة بيضاء وأخرجت من حقيبة يدها مظروفا مخطط غير مغلق، فتحته كانت بداخله عشر ورقات نقدية من فئة الخمسمائة ريال عزلت خمس وناولتني ضمت أصابعي عليها وهي تهمس: مكافأة المشاركة التي سعدت بها؛ لأعرف البدايات ومما تولد وهل هناك رحم للأوجاع.

فتح الباب ورحب بنا رجل في منتصف العمر سرنا خلفه لنجد أخر يجلس وشاشة التلفزيون تبث فلما أجنبي نهض لمدخلنا ومد كفه قال مستقبلنا: السيد عباس وأنا عادل وخالد وسعيد في الطريق وبعد جلوسنا قالت مرافقتي: أنا زينب وهذه صديقتي فاطمة، كنت كما هرة تنتظر كف مربيتها حتى لا تنفر من ضيف حل.

بعد حديث متقطع ومشهد أكثر حميمي يشكله أبطال الفيلم الذي تبثه قناة تلفزيونية مشفرة قام عباس ووقف قبالة زينب التي رمقتني مبتسمة ثم اختفت، عادل اقترب مني شيء فيه دفعني إلى تصنع البراءة التي تمنحني بعضا من الثقة بالذات، قال: الوقت يمضي ونهض وضع كفه على كتفي فقمت طوقني بيده اليمنى وسرنا متجاورين.

بينما نحن نقضم ما تبقى من فطيرة التوت، تردد حديث بين الجدران همس في أذني: هاه لقد وصلا، تركني في العتمة وأبقى باب الغرفة مواربا؛ ولفت نظري لمعان خاتمه وهو يتكئ على الباب المواربا منتعلا جزمته؛ ليفصلني عن الجزء الشاذ الذي دخلت فيه.

الصياد والطريدة كنت الصياد وإذا بي الطريدة؛ أربعة رجال وامرأتين ترى هل عاشرت زينب الثاني والثالث أم اكتفت بالأول، أنا اعرف ماهو بداخلي إنما هناك جانب نفعي واضح يسيطر على اللحظة معه أقوم بترتيب الأشياء التي ارغب في ا لحصول عليها وفق رغبات معتقد خلقت مبرراته.

التفتت زينب نحوي وهي تؤشر على ساعة معصمها مذكرة بالوقت قلت وأنا ازرع ابتسامة انتصار على وجهي: بقي اثنان قالت: نعم قلت: اثنان عرفت إنها لم تفهم. رن هاتف خالد وأعلن انه مغادر لارتباطه برحلة عمل مع سعيد. رافقهم عباس للباب.

صاحب الخاتم امسك بكف زينب وسحبها خلفه التفتت نحوي مرتبكة، جاء عباس التقت نظراتي بنظرات عباس ابتسم ونهض لحقت به أخوض في أوحال المستنقع واخذ ينصب العلامات في مساحات جسدي الفسيحة وهو يطفئ الشعلة التي أحدثتها ذاكرة تربط بين رائحة الزهرة والمكافأة.

لا يمكنني أن أخبرك قالت زينب: وهي تقبع في الكرسي المحاذي لمكتبي في الإدارة التي اعمل بها وقد حصلت بعد جهد على رخصة فتح محل تجاري لبيع الملابس الجاهزة وأدوات الزينة النسائية في سوق تجارية جديدة؛ قلت: هل معك شريك يمكنني مساعدتك. ردت رأسها إلى الخلف ورتبت شعر رأسها بأطراف أصابعها وقالت: تحررت من ذاك الوجود الغريب والأليم الذي يقتحم حياتي ونهضت؛ غادرت مقعدي وسرت بجوارها وقد أعيتني الصور لمعرفة هذا التواصل غير المفهوم بيننا قالت: نحن نستطيع رؤية الأشياء وتذوقها فقلت: ونتشابه في كل شيء

الريح

سأطير كقبره واختفي فوق السحاب، ورفعت رأسها شكت متنهدة كنت الأسعد حالا؛ إنما تدحرجت مع التيار السريع في طريق لم أتوقعه بغير رجعة، بسببك خسرت رجلي وفقدت صديقتي، كانت الريح تهب بشدة واغرورقن عيناها بالدمع.

الجرح ينزف عطرا

جاء الاختفاء في ذروة هدوء الصيف وسكون الأشياء في الرياض، لم نشعر بفقده في الأيام العشرة الأولى لأنه ينجز عملا بالتنسيق مع والدي، في بداية الأيام العشرة الثانية سألني والدي عنه فلم تشف إجابتي غليله.

ران صمت اسود على الدار، أمي تحتضن طفلتي ذات السنة وتلاطف ابني الذي لم يكمل سنته الثالثة، ووالدي يشغل نفسه بما يبثه التلفيزيون، رن هاتف المنزل كانت العاشرة ليلا صوت مجهول وهو يطلب والدي قائلا: هل أنت سارة، همهم أبي ببعض العبارات التي لم افهمها وامي تحدق بي.

على الغداء اخبرني والدي أن سالم اختفى من حياتنا، هناك علامات استفهام كثيرة، انشغل والدي معها بملاحقة أثارها المادية والمعنوية، سالم رحل ضمن إحدى قوافل المتخلفين ممن لا يحمل أوراق ثبوتية إلى مصر.

قال أبي: أوراقه التي بين يدينا مزورة، زواجك وأرقام إقامته في شهادة ميلاد ابني وابنتي تخص أخر، ومعه اختفى مبلغ كبير من صندوق المحل التجاري والحساب البنكي يصل إلى نصف مليون ريال، كان زواجي من سالم العامل المساعد لوالدي وأنا ادرس بالجامعة، فقد كان السائق الذي يحملني للكلية ويحمل معي طموحاتي وأسراري، بعد تخرجي بشهر اقتنع برغبتي والدي وباركته أمي التي تعتبره ابنها الرابع، فيصل ومحمد وسارة وسالم، إذ لم تعترف أني أنثى بسبب قربي من والدي ومشاكستي إخوتي.

أمضى سالم في العمل مع والدي عشر سنوات، معه حمل العمل وغدا شريكا في كل شيء ولم يتغير شيء بعد زواجي به، إشكالية هوية ابني وابنتي تم ترتيبها عبر المحكمة بإضافة لقب والدي وطلقني القاضي بعد وصول كشوف إدارة الجوازات التي تحمل صورة المتخلف المرحل بعد إقرار والدي وبعض الشهود انه سالم، والزمني بالعدة الشرعية حتى يباح لي الزواج مرة ثانية، قررت إشغال وقتي بالدراسة الجامعية فحصلت على الماجستير.

بعد وفات والدي قدمت لي أمي مظروفا مغلق طلبت مني فتحه في غرفتي بناء على وصية والدي، عرفت من الأوراق التي به أن سالم هويته الوطنية مزيفة، وهو عميل استخبارات زرع عبر عمل والدي التجاري الذي له علاقة بالسيارات والميكانيكا بعد تكليفه من جهة عسكرية بصيانة بعض معداتها، وكان عميلا مزدوجا لبلده ولأسرئيل ولما شعر بالخطر يحيق به رحل.

قمت بتمزيق الأوراق والصور وحملتها للمطبخ وأشعلت النار بها، فتحت باب غرفة ابنتي فلم أجدها، وفتحت باب غرفة ابني فلقيته نائما، وفتحت باب غرفة أمي فاذا ابنتي ترقد مع أمي في فراشها، شعرت بالهدوء والسكينة تمددت في فراشي ركضت مع أحلامي وطموحاتي، متجاوزة الجرح الذي نجحت في معالجته ولأفكر في أجوبتي على أسئلة الموظف الذي سأقابله في إحدى كليات جامعة نجد الأهلية حتى أكون عضو تدريس بها.

الحنق

اكتشفت أنها تفقد اعتبارها في نظر من حولها؛ إن لم تتمكن من فرض رأيها خلال المناقشة، كان الحنق يتغلب على الخجل لديها، لا تبدو فاتنة فهي أشبه بفوضى كريهة، معها جاءت الرغبة في ممارسة حب أنا أصنفه ولا يقاس بالخطى التي ارسمها للعمل، إذ علي إدراك سرها قبل اقتحام الآخرين خلوتنا؛ اقتربت كروح حالمة وقد أعماها غضب عاجز؛ فأخذت اغرف من كأس طواه الزمان، ونور اللحظة يضيء المكان قالت: لم أكن مجنونة ياعاشق التفاحة إنما أضفت لوجودي تاريخ آخر.

المنزل تسكنه الرغبة

في البدء هو حلم راودني ذات ليله، تفاصيله أنا في مكان غابت معالمه تركني احدهم مع امرأة تخيلت أنها زوجته، تركنا ليحضر العشاء وبعد دقائق رن جرس هاتف المرأة لتقول: المجنون نسي مفتاح السيارة، لما وجدته أطلت من نافذة الغرفة التي نجلس فيها لتتبين معالمه حتى ترمي المفتاح.

هنا شعرت برغبة ملامسة مؤخرتها فوقفت بجوارها وكفي بسكون تأخذ مكانها؛ لم تهتم بذلك كنا في الدور الثالث من عمارة تعج بالحركة والسكان، ألقت المفتاح وأنا واصلت عبثي سكونها واستسلامها خلقا التوتر في داخلي، أحسست بألم لاذع قطع أنفاسي.

غادرت المكان (وأنا أهمهم يا لها من امرأة بغيضة) متناسيا أنني جئت للاتفاق على اخذ قريبة للرجل الذي شاركني برنامج تدريبي انتهى وقمت بشراء سيارة جديدة بدلا عن سيارتي التي حضرت بها لأعود بها إلى الطائف.

في الموعد كنت اقرع الباب، لما فتح انبثق عن سيده في منتصف العمر، هي من سوف ترافقني طريق العودة وفق طلب احدهم، في المنتصف توقفنا عند مقهى للمسافرين فأخذت غرفة حتى نتناول العشاء.

فجر الحديث المتقطع كامن اشتركنا في إثارته وعلى فراش الغرفة المترب اقتحمت وجودها عاجزا عن التنبؤ بالنهاية ونحن نتجاوز الشعور بجموح وفق أحاسيس علاقة جديدة وكلمات

مكبوتة تشق طريقها لاقتحام اللحظة، ولما وصلنا انتظرت حتى ولجت المنزل الذي دلتني عليه، في اليوم الثالث جاء صوت قريبها يسألني عنها أخبرته إننا وصلنا وإنني تمهلت حتى دخلت الدار التي وصفتها.

شعرت بالقلق وبعد تجوال وصلت للمكان كان الباب مشرعا دخلت لم يكن هناك احد الغبار يعانق الجدران والتراب في كل مكان بعض الأبواب في غير مكانها والمقاعد مغطاة بأكياس من البلاستيك.

جلت في الغرف وارتقيت الدرج إلى السطح في جانب منه كوم أثاث مستعمل غطي بشراع من النايلون الأزرق، اتصلت برقم الهاتف المدون على لوحة البيع، أفادني المجيب إن ملاك المبنى ورثة يقيمون في بريطانيا وهو معروض للبيع منذ عام، لم اصدق فأخذت وصف مقر مكتب العقار.

وجدت المتحدث وأخبرته إنني منذ ثلاثة أيام أوصلت سيده للمنزل عندما قرعت الباب فتحه طفل في العاشرة وطفلة في السادسة هللا مرحبين بالسيدة وتعلقا بعنقها، استغرب قصتي وقال معلقا الورثة رجل وشقيقته وهم في لندن ابتعثا للدراسة وطاب لهم المقام فلم يعودا منذ عشر سنوات والمنزل مهجور وعلى جداره لوحة المكتب لطلب أصحابه عرضه للبيع بعد وفاة جدتهم العام الماضي، لم اصدق الحكاية فاتصلت بهاتف الرجل الذي توسط لنقل السيدة فلم يرد، فكان أن اتصلت بمركز التدريب بالرياض الذي أمضيت به أيام خمسة عبر برنامج رشحتني إدارتي للمشاركة فيه بعنوان السكرتارية.

طلبت من موظف العلاقات العامة تزويدي بكشف بأسماء وهواتف فرقتي في البرنامج، كان اسم زميل الدورة مدون

عاودت الاتصال فرد علي سألته عن سر المرأة التي شاركتني الطريق.

قال: لم يحدث هذا لأنه تمكن من الحجز لها على الطائرة.

قلت: والمرأة التي شاركتني الطريق أنكر وهو يتهمني بعدم الوعي، ذكرت رقم الشقة التي أخذتها منها.

قال: إن رقم شقته أربعة في الدور الأول وان الشقة التي ذكرت رقمها في الدور الثاني.

ترقبت أن يتصل معتذرا غير إن ذلك لم يحدث، ولما عدت لأوراق برنامج التدريب وعناوين زملاء الدورة كان مقر سكن الزميل خارج المدينة التي التقينا بها، وانه لم يحضر الدورة لظروفه الصحية.

متعاون

رفضت مطالبه فترصد خطواتها، ولما شاهدها مع احدهم تدخل محلا تجاريا وشى بها، لتأخذها سيارة الشرطة وبعد عشر ساعات؛ اقتنع المحقق أن مرافقها كان أخوها من أمها.

الهيم

ونحن نتناول العشاء ونتابع في التلفيزيون مباراة في كرة القدم بين فريقي المفضل وآخر ينافسه بشراسة، طلبت مني شقيقتي تأمين خدمة لزميلتها في العمل ترددت في طلبها، أوصلت شقيقتي للعمل وتوجهت للجامعة حيث اعمل كموظف استقبال، بعد فشلي في الالتحاق بالجامعة أو إحدى الكليات المتخصصة لتدني النسبة في الشهادة الثانوية، ومع انقضاء يومي العملي أخذت شقيقتي من مقر عملها وفي الطريق شاركتنا زميلتها ليكون حديثنا عن المساعدة المحددة ومعرفة منزل الزميلة.

في الرابعة عصرا: كنت أقف بسيارتي أمام العمارة التي تسكن بها زميلة شقيقتي التي جاءت مجللة بعباءة سوداء وقد رافقتها أخرى وطفلتين وتكوم الجميع في المقعد الخلفي عرفت أثناء الطريق أن الخادمة والطفلتين سوف يبقيان عند أمها حتى تنتهي من شراء بعض احتياجها من السوق.

لما قبعت المشتريات في شنطة السيارة وعلى المقعد الخلفي، تابعتها بنظري لأجدها تقف أمام الباب الأول ثم رفعت غطاء وجهها وقالت وهي تبتسم سوف اجلس بجوارك، أيقنت أنها وصلت في اعترافها بوجودها الصفات المشتركة وقد طمست أيقونة قوة القهر.

عرفت إنها تعيد ترتيب شقتها وقد أوشك زوجها المسافر في برنامج تدريب إلى القاهرة لمدة عشرة أيام على العودة، وان

الزمن الذي بقته وحيده، كان والدها يرعى شئونها مع إصرارها على البقاء مع طفلتيها والخادمة في الشقة.

في السادسة مساء: لم تتحدث عن الذهاب لمنزل والدتها واخذ الخادمة والطفلتين، ساعدنا بواب العمارة في نقل المشتريات للشقة في الدور الثالث، وأنا ارتب المشتريات في الصالة سمعت الباب يغلق بالمزلاج والنور يشتعل في أرجاء الشقة، لتطل داعية إلى شرب الشاي في غرفة الجلوس بنطلونها (الجينز) يبرز مؤخرتها وقميصها القصير (تي شيرت) يعري جزء من جسدها المائل للسمرة.

في السابعة ليلا: كان جلوسها في المقعد المقابل ولما فرغ كأسي قامت لتصب من الإبريق ومع الانحناء تهدل صدرها ولمحت أني أركز نظري عليه، جلست بجواري في بقية المقعد شعر رأسها الأسود الطويل ووجهها الغني بأصباغ خفيفة يشي بملاح جميله ابتسامتها وهي تتحدث لفتت نظري، نهضت قالت أن والدها سوف يرسل ابنتيها والخادمة مع السائق وأنها تريد رأي في فستان شرته.

في الثامنة ليلا: ونحن في الممر أصرت على بقائي لتناول العشاء، في حوارنا بين ممانع ومصرة كنا نقترب ونتلامس بعفوية وعند الباب وأمام المرآة الكبيرة ومزهرية تضم بعض الزهور التصقت بها كان استسلامها وعدم مبالاتها مريبا، إنما تفاعلها فرض الهالة السرية الأنثوية وعودتنا إلى غرفة الجلوس خلق الفضول في داخلي، ولم اشعر بمرور الوقت ولما رن هاتفها كان والدها، قلت هامسا اخبريه انك في الطريق.

في التاسعة ليلا: وصلنا لمنزل والدتها ولما عادت مع طفلتيها والخادمة، جلست بجواري ومع مغادرة الجميع للسيارة رفعت

كفها ملوحة بالشكر والتوديع؛ وفي طريق عودتي للمنزل رن جرس هاتف لم تكن النغمة التي استعملها في هاتفي الجوال، كان جوالها ارتفعت ضحكتها لأستعيد الوجه الأسمر وملامحه وقد رفت على الثغر ابتسامة صغيرة.

قالت: أنها عن قصد تركت هاتفها كهدية منها لتحملي تصرفها وسرقتها لوقتي الذي قد أكون بحاجة له.

ولتتصل حتى تخبرني إنني نبت أرض تنتمي لها وأنني فعلت خيرا بمنع حدوث تلف في حياتها، بسبب صراع داخلي بين التعلق الأمن بما هي عليه وعالم اقتحمته ذات يوم من خلال تعاويذ ورقى دجالة ومشعوذ، لما وقعت في براثن الإحباط المهني بسبب مشاكل زوجيه وتبعية وخضوع مهين للمجهول، اختفى معه الإحساس بالاضطراب لشعور مؤقت بالاطمئنان، وتشكرني لأني أعدتها للحياة من خلال زرع الثقة بإعادة إنتاج الذات.

السحاب يبسط ذراعيه

دخل المستشفى ومع تكرار الفحوصات والتحاليل قرر الطبيب التدخل الجراحي فحالته خطرة وتستدعي ذلك، فكان علي التبرع بالدم كما هي العادة عند إجراء العمليات الجراحية من الأقارب والأصدقاء.

بعد إكمال اخذ الدم دخلت العيادة لعمل فحوصات عامه فموعد الزيارة طويل وعنده زوار تقلقني مقابلتهم، لتقول لي الطبيبة: مبروك آنت حامل في الشهر الثاني، الأمر كان مفاجأة ولم ارتب له وعلاقتنا التي اكتمل عامها السادس عمليا؛ وتقارب روحي منذ ثلاث سنوات لم يكن في جدولها هذه الحالة الخوف غدا ينبض في جسدي بدلا من قلبي المد نف مما أزعجني.

هو تجاوز الخمسين رجل أعمال ناجح في بداية حياته تفرغ لرعاية والدته وشقيقاته الأربع بعد وفاة والده؛ شقيقاته تزوجن الواحدة تلو الأخرى وغادرن لمدن أخرى، وبقي يتابع حال والدته خالة أمي، ومع نجاحه التجاري نسي أن يتزوج وكان تخصصي الجامعي في الحاسب فرصة عمل إضافي في شركته مع عملي كمعلمة.

والدته المقعدة ادخلها مركز اجتماعي للمسنين بسبب سفرياته، ووالدي بعد سجنه لمدة عام وفصله من عمله في قضية رأي عام، طلق أمي ورحل إلى لندن وخلى منزلنا من حراك الأقارب وشغلناه بسائقين الأول لمطالب والدتي والمنزل والثاني لمشاويري وتجوالي، وثلاث عاملات منزل من شرق أسيا.

ولما شعرت أن لا احد عنده دخلت متوترة باقات الورد تحيط به وممرضة أجنبية خاصة تساعده على تصحيح وضع السرير، أخذت منها أقراص العلاج وكأس الماء تطلع في مبتسما وبعد حديث متقطع قلت: أنا حامل. . أغمض عينيه وارتعشت شفتاه. . قلت: حبي أنت قرين الروح وزوجي أمام الله وهذا يكفي؛ فتح عينيه واخذ كفي طوقها بكفيه وران الصمت الذي معه جاءت الممرضة لأخذه لعمل أشعة جديدة.

في التاسعة ليلا عدت للمنزل كانت والدتي تتابع حلقة من مسلسل في التلفزيون، وأطلت إحدى العاملات تخبرنا إن العشاء على الطاولة، تريثنا حتى انتهت الحلقة طوقتني أمي بذراعيها ودخلنا المطبخ حيث طاولة الأكل. وقبل جلوسنا قالت: عمتك خطبتك لابنها ولم تعلق كما هي عادتها عندما تأتي سيرة عائلة والدي أو تكمل طارحة رأيها الذي اعرف انه محرج.

في اليوم الثالث على اكتشاف الحمل وبعد اتصاله دخلت المستشفى في العاشرة صباحا كان في الغرفة محامي الشركة الذي يعرفني وأخر؛ ساعده المحامي على الجلوس وقال: هذه فضيلة الشيخ. . قال الشيخ: هل معك هويتك الوطنية . .أخرجتها من محفظة اليد تأملها ثم قال: حقا والدك غائب. هززت رأسي فواصل وهو يشير إليه هل تقبلينه زوجا.

خرج الشيخ ومعه المحامي طيلة الاجتماع لم انبس بكلمة، كنت عند الشيخ وكيلة نفسي وعند الوصاية الشرعية هو وكيلي وكان المحامي الشرعي شاهد أول وطبيب المستشفى المشرف على حالته الصحية الشاهد الثاني، والظلام يخيم على الكون قال: فعلا أنت حبيبتي وزوجتي أمام الله وخوفا من نتائج العملية الجراحية ها أنت زوجتي أمام الناس.

أكمل شهرين في سريره الطبي وقرر الأطباء ترحيله لمستشفى متخصص في أمريكا وهناك لفظ أنفاسه، وعرفت وقد توزعت أسرته التي لم تعرف بزواجه ارثه، انه عمل حساب بنكي باسمي رصد فيه نصف مكافأتي لقاء عملي الإضافي ومبالغ أخرى هي نصيبي كما قال المحامي من أرباح عمله التجاري في بعض عقود المشاريع الحكومية والخاصة التي كنت أدون إحداثياتها وشقة في عمارة سكنية بشمال الرياض.

ولما لحظت أمي انتفاخ بطني حاصرتني بأسئلتها، فبسطة لها قصتي أخذت تبكي بصوت مرتفع وعصبية لم اعتادها منها وهي توبخني على فعلتي، وقاطعتني منكرة أمومتها وقرابته لنا؛ ولولا خوفها من القادم لطردتني من المنزل؛ وعند ولادتي كانت هي من اختار اسم ابني.

أعياد

في عيد الأم فقدت أمي، وفي عيد الحب خطف جاري الأرمل زوجتي، وفي عيد الشرطة وأنا اقطع الطريق للحاق بصلاة المغرب في المسجد؛ دهمتني سيارة شرطة تلاحق عربة مسروقة فمت.

حواس انطباع غامض

قالت زميلتي: أثناء اتصالها لتأكيد حضوري حفل صديقة مشتركة؛ بمناسبة حصولها على وظيفة جديدة في الإدارة التي نعمل بأحد أقسامها لما لا تتزوجين الأرمل، وفي الحفل وهي تعرف أن زواجي الخامس انفض منذ ثمانية أشهر، جاءت على ذكر الأرمل الذي كان زوج أختي الأكبر وله منها بنت وولد البنت في الثانوية والولد مرسل للدراسة في أمريكا.

في اليوم الأول من زواجي بالأرمل؛ جهزتني أمي وابنة أختي، في الليلة الأولى نام في غرفة الضيوف، وفي الليلة الثانية تأخر في السهر مع أصدقائه فنام على احد مقاعد صالة الجلوس، وفي الليلة الثالثة وبعد عشاء في منزل أسرتي شاركني غرفة النوم إنما لم يقترب مني، وفي الليلة الرابعة شعرت بالإرهاق من التفكير، فلم أكمل مشاهدة حلقة جديدة من مسلسل تلفزيوني فدخلت الحمام وتركت الماء البارد ينسكب على جسدي؛ لأسمع حركة في المنزل وباب الحمام يفتح كل شيء فيه متوهج وجاءت لحظة التحول لتشكل تغيرات جذرية تجاوزت المنطق.

ونحن نحتفل بزواج ابنته وفي طريقنا للمنزل، أخذنا الحديث قال: كانت تحرسني روحها ولما تأكدت انك البديل الذي سوف يسعدني سلمتك الحراسة في الليلة الرابعة. . ! فقلت: وأنت كنت القرين الذي تسبب في فشل زواجي السابق كان فرحكم يشع وخصامكم صمت لم أجده خلال تجاربي التي سعت والدتي إلى إخراجي من وهمها ، فأنت ابنها الذي لم تلده وزوج ابنتها البكر.

وفي العام الثاني جاء طفلي استقبلناه بقلق، وقد تجاوزنا في تفكيرنا وجوده في قائمة حياتنا ولم نشعر بتكونه اللا في الشهر الرابع ؛ قالت: صديقتي أثناء مراجعتي للمركز الطبي في حينا لحلول موعد جرعة التطعيم؛ عبر الهاتف كنت أفكر فيه فقد حدث التقاء في زمن أخر وأخرجني من أزمة كنت أعيشها مع أسرتي وأهل زوجي، صمته دلل على خصوصيته.

لما عدت للمنزل اخذ الطفل وأجلسه في حضنه، واخذ يحدق. . في أزاح الطفل من حضنه وأجلسني على فخذه كفه تلامس شعر رأسي وأنفاسه تلفح عنقي، الطفل ذي السنة الواحدة غفي ومعه خيمت عتمة على الغرفة وبصيص لمع برق يتألق حولنا؛ كانت دوامة من نور محملة بذرات ثورة لم توفق في إعداد جانب تنظيمي وان معها ارتفعنا كل شيء أمامنا الناس والمنازل والأشجار وسحب بيضاء تلف بنا شيء فيه سلب وجودي وأعاد صياغة مشاعري، لينبهنا من حالة الوجد بكاء الصغير.

صوت

كان صوتها ينم عن قدر من العصبية،عبرت لحظة صمت قبل أن تترجل مع العربة لاحقة بمرافقتها، تموجات صوتها تقاطع البهجة المفعمة بالرقة والحنو التي تلتمع في عينيها، لم تأخذ باقي الخمسين فالمشوار كان بثلاثين ريال، لما عدت للموقف في المركز التجاري؛ تجدد الصوت ليركب في المقعد الخلفي امرأة وطفل في الرابعة.

بيت الجدة

أثناء حضورها حفل جمعية إيواء للعناية بالعجزة بصفتها ناشطة اجتماعية وعضو في مجلس إدارة الجمعية، كان زوجها بمقر شركته العائلية يوقع عقد بناء مستشفى تابع لوزارة الصحة، وعقد بناء مدرسة ابتدائية للأولاد تابع لوزارة التربية، وعقد تمهيد وسفلته وصلة طريق لقرية تبعد عن طريق الرياض الطائف خمسين كيلو مع وزارة المواصلات، بعد شهر رافقته لحضور وضع حجر الأساس لبناء المستشفى، فتذكرت طفولتها الأرض الزراعية والبئر وبيت الجدة سألته كيف وضعت الحكومة اليد على المكان قال: احدهم عرف الحاجة واحضر تملكه الأرض فشرتها وزارة الصحة، لما دخلت منزل خالها المقعد بسبب التقدم في العمر والمرض؛ لاحظت التجهم على محيا الجميع كان زوجها شريكا في سرقة الأرض.

ريح رمادية

وقد غرقت في عرق النشوة تذكر صديقه الأثير، فلم اعترض على مناداته، فإذا به زوجي المسافر منذ عشرة أيام، معها عدت لمنزل الأسرة.

موجة ضباب داكنة

لما وقفت أمامه غارقة في الخوف انتظر تبرير حضوره، مد يده وفك حزام البرنس الذي يغطي جسدي، حدق وقد سرت ابتسامة باهته على وجهه وقال: أمك بالمستشفى ثم انهار باكيا.

عندما نتذكر الأشكال العادية

شعرت أن من سعى لطباعة كتابها الأول في النادي الأدبي، يتاجر باسمها لرسم هالة لصور لم تحدث؛ فلما دعيت للمشاركة في ندوة أدبية عبر لقاء منبري مع طالبات الأقسام الأدبية بالجامعة تجاهلته في حديثها، وإذ بها في حلقة جديدة من مقاله الشهري في الملحق الثقافي بالجريدة اليومية؛ ذات نص ساذج ومفكك وغير مستقر لغويا؛ وفي معرض الكتاب الدولي بالرياض لما التقيا عند الدار التي تنشر كتبه ونشرت كتابها الثاني أهدته نسخة من الكتاب، فجاء اعتذار الملحق الثقافي الذي نشر خبر إصدارها مع تقريظ المحرر، بأن الكاتب أعتذر عن اختفاء الحلقة الجديدة من مقاله لأنه مسافر.

سيمفونية ليلة وداع

بعد عشر سنوات من العمل في الغربة وفق سكينة مثيرة للإعجاب من البعض ولباقة مزعجة للغالبية؛ جاء موعد العودة للبيت، فقررت صديقتي الأثيرة وزميلة العمل المميزة إقامة حفل عشاء مع بعض من الزملاء والزميلات برعاية مديرنا في فرع الإدارة بشمال الرياض، كنت انتظر مرورهم واخذي لمكان العشاء بعد المغرب.

قالت (عبر الهاتف): المدير تكفل بحضورك.

شيء في انزعج وجزء زرع علامة استفهام من صاغ المشهد وقرر التقاط الصورة؛ وأنا أقاوم إحساس غريب حين أفكر إنني غدا مساءا أكون في منزلي، وأتساءل إن كنت سأجد هناك كثيرين ممن افتقدتهم وممن عاد، اتصلت بها إني اعرف المكان وفي إمكاني الطلب من احدهم التكفل بذلك.

قالت: الجميع مكلف بمهام لإنجاح الحفل.

لم أفكر في الفستان الذي يناسب الحفل وقد جمعت ملابسي ومقتنياتي في حقائب السفر؛ السفر الذي تحدد حسب تذكرة الطائرة الثالثة بعد ظهر الغد، رن هاتفي كان المدير يشعرني انه في الطريق ويتأكد من صحة العنوان، اسم الحي والشارع والعمارة ورقم الشقة والدور؛ زاد قلقي وتوتري عشر سنوات من العمل منها الستة أشهر الأخيرة تولى إدارة المنشأة علاقتنا رتيبة ومجاملات لم تتجاوز ساعات العمل وان كان البعض يتحدث عن قسوته في التعامل وغياب الشفافية عند الخطاء.

رن جرس باب الشقة لم يكن هناك احد أخي وزوجته في الخارج لتبضع، ترويت قليلا ولما تذكرت ما قيل أسرعت إلى الباب كنت بثوب المنزل القطني القصير وشعري المتشعث، لما فتحت الباب وشاهد الحالة البوهيمية الغارقة في الفوضى التي أنا فيها، ضحك بصوت عال.

قال: انتظرك في السيارة

شرعت الباب ودعوته للدخول جلس على احد مقاعد غرفة الاستقبال ووقفت مرحبة حدق في يتابع كلامي ولما انتهيت وقف وامسك بكفي، قال كلاما لم افهمه فكل شيء في داخلي منبهر ومفكك وأنا اركض في الأفق الأبيض في مرح ألوانه منشقة من قوس قزح، تنبهت من حالة الغياب لما ترك كفي وجلس، تحركت إلى المطبخ وأحضرت كوب ماء تناوله مني.

قلت: قهوة. . شاي أو. .

لم أكمل فقد كان مغمض العينين وجهه يعكس البراءة التي في داخله، مما زاد معه انبهاري وبمزيد من الثقة بالذات اقتربت مررت كفي على جبينه، تنبه وجدته ودودا وقد طفح وجهه بالبشر كان يبتسم وذكر لي شيئا يتعلق بالعمل، شعرت بأنفاسه لا أدري ماذا حدث إنما حرصت أن اخذ كنت كمن قد فرغ تقريبا من انجاز شيء، مستعدا للشروع في الغد لمعايشة مرحلة جديدة.

ما أريد بات الأمر أكثر جدية متجاوزه سؤال طرح علي وأنا أتابع أوراق استقالتي من العمل (ماذا أريد في نهاية الأمر) كلهم يعرف إنني في العقد الرابع اركض وحيدة في شوارع مزدحمة ناقمة من كل شيء باحثه عن خلاصي وأن لا أخون نفسي.

اعرف أن كل شيء يراوغني ويصبح على حين فجأة مجرد كذبة فأغلق الباب خلفه، كان رقيقا ينساب كما نسمة ربيع، رائحته تسري في انفي وقد اختلط نبضنا خرجت عن السيطرة وفق إشارات ملتبسة فلم اخذ حذري كانت حماقة؛ لم يعد هناك ما أخشاه في تكامل نسق ربط بين أجزاء تتشابه في حراكها اتقاء الجوع والتفتت؛ في اتفاق غير معلن على تجاوز نظرية الاختيار العقلاني.

في حفل العشاء همست صديقتي بأنه تكفل بالحفل حالات القلق التي غمرتني لم تصل إلى مرحلة الخوف من همس الحضور مع انه موقف خلقته الصديقة الأثيرة يسهم ولحالة يترافع ضجيجها في الانفعال فينشأ الشعور بالخوف أو الغضب وتموت السعادة.

قال (وهو يغادر): كلفت مراسل الإدارة أن يقلك للمطار ويتأكد من سفرك!

تذكرت إنني كما تخلصت منه. أخذت منه شيئا قد يذكرني به؛ صديقتي وزوجها لما أوصلاني للمنزل أكدا استعدادهم إيصالي للمطار إذا لم يتمكن أخي أو تأخر سائق الإدارة، لم أقاوم الحب الذي أحاطني انهارت دموعي وأنا اصعد الدرج ليفتح أخي الباب مرحبا.

أنثيال رشة نور

في طفولتي كنت افتقد التوازن: لم يشغل ذهني انبهاري بالحواجز المكانية، منجرفة لحساسية تعيد تكونها وفق تراكم عفوي في داخلي، وأنا في الصف الأول الثانوي وجدته في معلمة لم يستغل قدرتها أحد، فكانت مرشدتي فتجاوزت الثانوية العامة بتقدير ممتاز،والجامعة في التخصص الذي أتحكم فيه فكنت أول دفعتي؛ من خلال وفرة اهتمامها بقدرتي الذهنية والجسدية.

وأصبحت الثالثة كموظفة ورئيسة قسم النساء بالبنك، وبعد ثلاث سنوات تم ترشيحي لبرنامج حسابي الكتروني حديث لمدة ثلاثة أشهر في أكاديمية تنمية المهارات التي تشرف عليها الإدارة العامة للبنك؛ ومع نهاية الشهر الأول وفي زيارة تطبيق للبرنامج في مؤسسة حكومية مع خليط من المتدربين، التقيته فيه أشياء أخلت بتوازني.

في لقاءنا الثاني تمكن بما يملك من قدرة في اقتحام أعماقي؛ فجر جبل النحاس حتى وصل الينابيع، المشاعر النزقة كنت معها مرتاحة تماما شعرت إنني غير موجودة، ولما عدت لبرنامجي المعتاد لم يشغلني التغير بسبب التوازن الذي تشكل مجددا.

كان حديث الزملاء يأتي عليه كشخصية غامضة، ووصلني انه سافر لمدة سنة في إجازة تفرغ لإعداد بحوث ترقية أكاديمية، ولم اعترض على من تقدم خاطبا، وقد كان من أسرة

والدتي ليهمس في الصباح قبل أن يكمل إفطاره إنني غير مناسبة فقد حرثت ارضي.

غادر الشقة التي ساهمت في تأثيثها لتأتي أمي وتسألني صحة اكتشافه، حوارنا لم يصل إلى نتيجة وقد تجاوزت الإحساس بالإحباط؛ وعدت لمنزل والدي وبعد انتهاء إجازة الزواج رجعت للعمل فوجدت تسرب ما حدث وفق روايات مختلفة.

قاومت المتاريس التي شكلتها أسرتي وهمسات البعض من داخل مبنى البنك، كما قاومت ابتزاز زوجي الذي هجرني رافضا استمرار حياتنا، متحملة عواقب تطاوله وقد قررت عدم تكليف نفسي توضيح ما يجول في خاطره، مطالبا إعادة ما أنفقه كمهر وهدايا وقيمة أثاث الشقة، حياد أبي منحني فرصة المساومة وان وجدت في صمت أمي تبنيها لوساوس خالتي التي هي مطالب ابنها، وبعد عام من المشاورات جاء الخلع بعد ما أعدت كامل الصداق وتنازل عن مطالبه المالية الأخرى.

وفي وقت لم أدونه عدت للدار الهدوء يخيم، وفي طريقي لغرفتي سمعت صوتا مألوفا قادم من غرفة الضيوف؛ يتحاور مع أبي وأخي كانت أمي في المطبخ. تعد دله القهوة، همست: أعندنا أغراب. لم ترد تريثت قليلا أتابع حركتها ليأتي أخي؛ صدمه وجودي ولما حمل الدله التفت نحوي متهللا: هنا من يطلب يدك.

ترحل لحظات لا لون لها

في زمن ذاك الحلم: وقد امتد المكان حتى لم تعد له نهاية؛ طلبت مني أخذها إلى حفل تسعى كصحفية لتغطية فعالياته، المكان حديقة عامه في طريق شهار والمناسبة احتفال بموسم زهرة الورد، الموقع بين بوابتين بوابة مستشفى (شهار) الصحة النفسية وبوابة مستشفى (الدرن) الأمراض الصدرية، وفي انتظاري شرعت باب المنزل ورجتني هامسة اخذ أختها الأكبر التي تزورهم وطفليها لتصورهم؛ ونشر صورهم مع التغطية الصحفية بالجريدة، ولما عدنا رأت الأخت إيصال شقيقتها أولا حتى لا تلاحظ أمها حضورنا المتأخر.

فكانت عفويتنا استجابة الفكرة، ولما وصلت لدار الأخت تذكرت أنها بحاجه لبعض الأغراض تجولنا في الشوارع بعد انتقالها من المقعد الخلفي لتكون بجواري، وفي محطة بنزين تضم مركزا تجاري ومقهى في طريق الهدى عثرت على مطالبها؛ كان الطفلان نائمين ابن في الثانية وابنه في الرابعة، أوقفت السيارة في شارع خلفي للبرج السكني وحملت الطفلة وهي حملت الطفل وفي المصعد ران الصمت.

فتحت باب شقة في الدور السادس، ودخلت خلفها العتمة والهدوء يخيم ولجنا غرفة نوم الطفلين ورقد كل واحد في سريره ونحن في صالة الجلوس، دعتني لشرب الشاي ومشروب بارد كانت الساعة متأخرة؛ اعتذرت وقد عرفت إن زوجها رجل الأعمال مسافر منذ عشرة أيام وخادمتها تركتها في منزل والدتها: يدفعني نسق اجتماعي بولغ في خلقه. كنت

خليطا قويا لا يقهر؛ بينما كنت أيضا: لم أكن ذلك الشخص القادر.

تنبهت من الحلم: ونحن نجلس بجوار جذع شجرة وارفه في منتزه الردف الطبيعي نستشرف الذي سوف يأتي، قررت الزواج فأنا وان كنت حبها ودفء الشمس التي تنشر الطمأنينة في أعماقها ومن شعرت بوجودها معه؛ غير مناسب وبلا طعم في حالتها، وبعد ثلاثة أشهر من رحيلها جاء اتصال أمها للمشاركة في شهادة بالمحكمة الشرعية؛ جاءت استجابتي أليه رغم عدم معرفتي بالموضوع، لما أكملنا الإجراءات أوصلتها وابنها الفتى وابنتها الثالثة للمنزل.

لأجد في المقعد الخلفي للسيارة بعد قضاء جزء من الليل؛ مع الأصدقاء في المقهى، محفظة يد صغيرة، تضم شريط فيديو. ومجموعة صور لحفل الزواج. وقلم روج. ونقود ورقية، كان الشريط تسجيلا للحفل تنتصب مع زوجها في الكوشة: والجميع يتحرك ويرقص، وجاء صوتها في العاشرة صباحا وأنا في العمل؛ عرفت إنها الابنة الثالثة: تسألني هل شاهدت الشريط وتفحصت الصور؛ ثم قالت: أنا صاحبة الفستان الأحمر والشعر المتجعد قلت: أبرعهم بالرقص وأكثرهم لغطا قالت: وخطيبي أيضا رقاص وعازف عود بارع وزواجي في الصيف.

طلبت مني إعادة الصور والشريط وإنها تنتظرني بعد العشاء خلف باب المنزل، ترددت وقررت اخذ بعض الصور كذكرى أوقفت سيارتي في شارع محاذ لشارع المنزل، اقتربت من الباب الموارب دفعته ودخلت العتمة تلف المكان ليصلنا صوت أفراد في الدرج، فتحت باب جانبي وسحبتني خلفها وفي

ظلام المكان همست بالسكون وعدم القلق ومعها شعرت بأنها تجرني لمغامرة لم ارتب لها.

تفجرت اللحظة شعرت إنها اعتادت المداعبة ولثم عنقها لم يقلقها التصاقي قالت: وقد تخلصت من نزقي. خطيبي رسم معالم جسدي قبل كتابة كتابنا؛ ولما تمت الكتابة لم اشعر بطعم لوجوده غير انه لن يتوقف هنا فكلي له، تكرر اتصالها لطلب العون في تأمين تجهيز حفل زواجها ولما رحلت جاء اتصالها من مدينة في الشمال الغربي حيث يعمل زوجها العسكري.

بعد عدة أشهر جاء اتصال الأخت الكبرى: تسعى لتسجيل ابنتها في المدرسة الابتدائية، بعد فشلها في قبول أوراقها بالمدرسة التي تعمل بها، فكان أن اتفقنا بعد أخذها لمراجعة إدارة التربية والتعليم وقد وعدني احد مسئولي التعليم بالمساعدة مع بداية العام الدراسي؛ إن السن لا يسمح ولكن في التمهيدي.

كانت العاشرة صباحا لما أوصلتها لمقر عملها عرفت أنها لم تتناول إفطارها فتوجهنا لمطعم لم نجد الإفطار المطلوب، فاتجهنا شمالا خارج المدينة وفي محطة محروقات تضم مطعما وغرف مسافرين بضاحية العرفاء، ومع الحلم الخافق الذي لم يكن لي؛ تجاوزت أفكاري القديمة ففقدنا كل شيء؛ كانت تقاوم في استسلام غبطة العطاء ولما عدنا قالت: ويلي أنا المسكينة، كنت صغيرة أتدحرج كحبة خردل، ولقد كنت العاصفة الهوجاء التي اقتلعت أشجاري: ترجلت عند باب مدرستها.

قررت الرحيل: إذ لم يتبقى لي عذر بعد وفاة والدتي؛ الوتد الذي كنت اعلق فيه وبه كل أفعالي وقناعتي بما أنا عليه فهي القربان والفداء وسيدة الحب الإنساني، ورمز الوفاء وقد رفضت مطلب من حولها طلب الطلاق من زوجها الغائب منتظره أوبته

سالما، خالي زوج كل بناته العشر واستثناني في الاختيار؛ خالي الثاني حاصر ما تبقى لي من ارث في منزل أشارك والدتي تملكه لسكنى ابنه المقعد، خالتي رفضت استقبالي بعدما خالفتها في مكان تقبل العزاء في والدتي، أسرة والدي الذي اختفى وأنا في العاشرة والمقيمة في قرية شرق مدينة الطائف نسيت اسمها، لم تهتم بحالتي.

حطت رحالي في مدينة الزلفي الساكنة وسط الرمال، ضائع في زمن تنساب دقائقه رغم الامتلاء أجدها في حالتي فارغة؛ وبينما أنا في مكتبي أغالب النوم وأقاوم الفراغ رن الهاتف كان مدير القسم لما دخلت غرفته سألني عن معرفتي ببعض الأسر في مدينتي القديمة، وذكرني بالأخوات الثلاث قال انه زوج الرابعة وان أمها هنا وتريد مقابلتي، جاءت الأم للزيارة ومراجعة احد المستشفيات حيث تعمل ابنتها الرابعة أخصائية تغذية.

وأنا عائد لسكني: شعرت إن سوء الحظ يلاحقني فقررت الرحيل طلبت إجازة خمسة أيام؛ راجعت المركز الرئيس بالرياض طالبا النقل إلى الرياض؛ ولما انتهت أيام الإجازة عدت للعمل، كان المدير مسافرا ليأتي اتصال الأم من الطائف: أنها مرهقة وينوء كاهلها بالهموم بعد موت أبو عيالها، وعودة ابنها الغائب ثمان سنوات والمسافر للدراسة في أمريكا أبهجتها وان كان خالي الوفاض، ووجد عملا في شركة سيارات بجده، وأنها ترى انتقالها إلى جده التي يدرس ابنها الأصغر في جامعتها. وان ابنتها الصغرى والتي رزقت بابنها الأول منذ يومين تسأل عني، لم اهتم بكل هذه الأخبار ولكن ليأتي اتصال البنت الرابعة: صوتها المتوتر. دائما كان حاد وقلق؛ وأنها

تنتظرني في التاسعة صباحا أمام قسم العيادات الخارجية للمستشفى الذي تعمل به.

عرفت إن لها ابنة وحيده ألحقتها بروضة أهلية تابعة للمستشفى، وان زوجها في رحلة عمل لمدة ثلاثة أيام في الرياض؛ وأنها تشعر إنها بحاجة لبعض المعلومات عن سباب طلاق أختها الكبرى بعد إشاعة إن زوجها اكتشف علاقتنا، وفي أثناء الحديث عرفت أن الزوج وجدها في غرفة الجلوس مع احد سكان العمارة من جنسية أسيوية يعمل فني في شركة الكهرباء بعد عودته المفاجئة صباح يوم جمعة، هنا قلت: وأنت. . أغمضت عينيها؛ شعرت انه علي قبل أن أنفذ تعميد النقل الذي استلمته بالأمس وتكون نهايتي في مدينة أخرى، شرب ماءها فكان أن اتجهت إلى منزلها اعرف إن ابنتها الآن في الروضة. وان زوجها مسافر. وان عاملة المنزل المنشغلة بمهامها لن يقلقها حضوري.

لم اهتم بارتباكها أوقفت السيارة أمام مدخل المنزل ووقفت بجوارها وهي تفتح قفل الباب سرت معها للداخل، كان حراك الخادمة يصل من المطبخ؛ هاجس اللحظة فتح باب الاطمئنان فشعرت بالسكينة التي معها انكشف الحجاب، جسدها الأجمل بين أخواتها بيضاء مائلة للشقرة رشيقة القوام، كانت وهي تتوقى تساقطي تنتفض كمن به مس تحلب عرقها ويتغير لونها أخذت تبكي بينما أسراب طير النورس تحلق؛ تركتها تلملم ذاتها المبعثرة. وترتق شق مسافة متاهة المجاز التي أضاعت فيه ضلها، وجدت العاملة السمراء تنظف إحدى نوافذ صالة الجلوس من بقايا الغبار الذي اجتاح المدينة بعد منتصف الليل: تابعتني بنظرها حتى أغلقت الباب.

ضفث نبات متسلق

وأنا أتابع مباراة في كرة القدم عبر منافسات اولمبياد لندن وحيدا في غرفة التلفزيون بمنزلنا، طلبت مني أمي وهي تحمل كرتونا صغير بين يديها مغلق بإحكام، أن أوصله لجارتنا الساكنة بالدور الأول من منزلنا وتشارك والدتي العمل بمدرسة ابتدائية للبنات بحي الشرقية، ماطلتها بدعوى انتظار نهاية الشوط الأول فجلست بجواري وقبع الكرتون في حضنها، ومع نهاية الشوط الأول التفت نحوها ثم وقفت وحملت الكرتون، جارتنا معلمة لها أربعة أعوام تقيم مع ابنيها وابنتها بينما زوجها يأتي عصر الأربعاء لقضاء يومي الخميس والجمعة وتختفي أيام الإجازات، قرعت الباب ففتحته الابنة ذات السنوات الأربع طلبت منها أخذ الكرتون فرفضت، وأنا أجادلها أقبلت الأم بثوب الحمام الأحمر الطويل وقد لفت شعر رأسها بفوطة بيضاء، جاء وقوفها أمامي بهذا الشكل صادما فتراجعت إلى الوراء وتوقفت مع ابتسامتها الصغيرة محدقا فيها.

قالت: شكلي خوفك

قلت: نعم

قالت: أي أنا جنية

وهي تتناول الكرتون شممت رائحة الصابون وعطر الحمام، فلم أغادر مكاني وهي لم تغلق الباب ولم تتوقف عن التحديق.

قلت: رفضت ابنتك اخذ الكرتون

قالت: زعلانه لأن أخويها مع أبوهم في السوق

قالت: سلم على أمك

لم انبس بكلمة ولم تطلب هي مني الانصراف، وأمام ابتسامتها وشكلها ورائحة الصابون انشغل عقلي فولد الجراءة التي اعتدتها بصفتي مسئول الإذاعة المدرسية.

قلت: سروالك لونه ابيض

صدمها السؤال فأغمضت عينيها ووضعت الكرتون الذي تحمله على الأرض، وتراجعت خطوه للوراء وفتحت رباط ثوب الحمام كاشفة جسدها الأسمر الرشيق والمبهر بمكوناته، ونزعت الفوطة التي تلفها حول رأسها ليتهدل شعرها الطويل المبلل بالماء؛ وقد انطبق البرنس على جسدها، أمرتني بحمل الكرتون والسير خلفها انصعت مع سكينة تلبستني؛ الطفلة في صالة الجلوس تتابع الرسوم المتحركة في التلفزيون، ولجت إحدى الغرف وطلبت مني ترك الكرتون على طاولة تقبع في وسطها، ومع العتمة اقتحمت عذريتي في تعبير قاس عن نقمتها وتذمرها من حالة كادت أن تدمر حياتها، فغصت في نفق الظلماء، أمام الباب وابتسامة صغيرة على وجهها زرعت قبله على خدي؛ انبثقت لحظتها أريانا ابنة مينوس إحدى بطلات الأساطير اليونانية تنافس في فعلها الفتاة التي خطفها الجني كما جاء في كتاب ألف ليلة وليلة.

تجولت في الشوارع بسيارتي؛ الطائف بشوارعها الضيقة والسوداء المكتظة بالمحلات التجارية وسياراتها والمشاة بتنوعهم وصراخهم صور غائمة، وشارع خالد بن الوليد بتشكيله العجيب يمتد أمامي، متجاوزا أسواق العنقري وحي وادي النمل وخليطه المقلق سكان من كل العالم بسحنهم البيضاء والسوداء ولهجاتهم المختلفة ولغتهم حسب كل عرق ونشاط سري، واتجهت إلى مقهى في شرق المدينة بمدخل معارض بيع

السيارات، التقي فيه بعض زملاء الدراسة وأصدقاء الحي نلعب البلوت وندخن، في العاشرة ليلا عدت للدار أترقب من يوبخني ويلقي بكل سياط العذاب في وجهي؛ وتنبهت لا احد فالجميع سافر بعد تناول الغداء إلى مكة للمشاركة في عزاء قريب لوالدي والدته توفت.

ونحن على طاولة العشاء ومن حديث والدتي فيما يهم الأسرة عرفت إن زميلتها الغائبة بسبب إجازة نهاية العام الدراسي التي التقتها في بيت المتوفاة، جاء اسمها في حركة نقل المعلمات وتحقق طلبها لتكون بجوار زوجها في مكة، شعرت بمغص شديد يمزق أمعائي معه تم نقلي للمستشفى كان اشتباه التهاب الزائدة الدودية فمنحت بعد رقابة لمدة نصف ساعة مسكن، ونحن في السيارة عائدا للدار قالت أمي: سميرة تقولك سلامتك وفي الواحدة بعد منتصف الليل وأنا في فراشي بغرفة النوم كانت سميرة تجلس على طرف الفراش تتحدث عن أخبارها الجديدة وفي الثانية غادرت، تنبهت من النوم وأنا اشعر بجفاف حلقي وعطش شديد فغادرت غرفتي متجها للمطبخ، وجدت أمي تجلس خلف طاولة المطبخ الصغيرة تتجرع الماء، حدقت في وغادرت المطبخ بصمت.

النفق

جاء صوته ينم عن قدر مرتفع من العصبية، تعلمت أن تقرأ نبراته حين يقف احد بينهم يبقى قلقا عكر المزاج، شعرت أن كل شيء جافا وأن الأوضاع هذه المرة لن تسوى، احتجت وفي الموعد المحدد لمواصلة النقاش لم يحضر.

اللوحة الأخيرة

علي أن اكسر ريشتي: أنت سخرت من تقاليد القبيلة، الجميع سيكونون ضدك، ثم قالت: فيم حضورك أيها العاجز، وأنا اجتاز الشارع دهست جسدي عربة توزيع ألبان، رفض سائقها مساعدتي حتى وصول الشرطة، فتوقفت أنفاسي ورسم دمي فوق الإسفلت لوحتي الأخيرة.

القدرة على السيطرة

جلس بجواري اعرفه تصرفاته تزرع القلق، بعد العشاء رافقته وفي الطريق عرفت إن زوجته مسافرة، في العاشرة فُتح باب الغرفة تحمل براد الشاي، جلست مبتسمة أدخلت كفها في شعر رأسها.

قالت: صادك

تعبير رقيق ينبعث من عينيها وشفتيها الشاحبتين؛ وأنا في سيارة الأجرة ناولني السائق مظروفا فتحته بداخله ورقة خمسمائة ريال، وليأتي صوته يعاتبني على المغادرة إذ كان يأمل أن نتناول الغداء في احد المطاعم.

بعد

بعد غياب حضر مع من قال انه صديقه، وقدمني على إنني زوجته السرية، وبعد ساعة استأذن وهمس في إذني: أرجوك امنحيه فرصة، بعدها طلقت وتقدم يطلب يدي في اليوم الثالث طلقني، ثم عرفت أن الأول وان كان بعد زواجين علنيين، تنازل عني لقاء دين أرهق كاهله.

أيام الانتظار

بعد حصولي على شهادة الثانوية العامة، فزت ببعثة علمية إلى أمريكا وبعد سنوات عشر عدت وقد تغير كل شيء ومعه تبدلت قناعاتي؛ فعرفت أين أضع نفسي.

في الواحدة بعد الظهر قال مدير مكتبي في مركز أبحاث الجامعة بالرياض، أن الصحفية التي حدد موعدها مسبقا مع مصور الجريدة التي تعمل بها؛ ينتظران إذن الدخول.

وقد اكتمل التصوير ومناقشة الأسئلة المطروحة للقاء الصحفي، وبعد تجرع رشفة من فنجال الشاي

قالت: هل تعرف فهد ولد مبروكة

قلت: (مستفهما) نعم. . !

قالت: أسفه اسم والدك ولقب الأسرة يحمله ولد عمتي مبروكة

وتذكرت فهد وإخوتي من أبي، وقد تشتت تجمع الأسرة، بعد وفاة والدي المتزوج من ثلاث أنجبن البنين والبنات؛ أمي رحلت مع شقيقي إلى قرية زراعية شرق مدينة الطائف، ونجح في مشروعه الزراعي وتربية الأغنام والبقية أخذتهم المدن الأخرى.

قلت: وأنت

قالت: أنا بنت خال فهد الصغرى والدي بعد تقاعده من العمل الحكومي اشتغل في التجارة

قلت: (بدون وعي) بنت زينب

قالت: نعم

كانت قد تجاوزت الثلاثين نامت مع أولادها الثلاثة وابنتها (بسام تسع سنوات. فرح ثمان سنوات. سطام خمس سنوات. ناصر ثلاث سنوات) في غرفتي ليلة واحده؛ حتى عثر زوجها على بيت مناسب في طرف الحي، سبب قدومها وعائلتها حضور زواج أخي الأكبر فهد ابن أخت زوجها؛ وقضاء شهر إجازة من العمل للتمتع بصيف الطائف.

مع الحكومة ومن يجد في الطائف لحظة استرخاء؛ مع نسمات الصيف المتعطرة بعبق الورد المتوهجة بتألق الزهور الصفراء، وبساتينها ومزارعها وجبالها المكللة بالأشجار ورمانها وعنبها المميز؛ وسواقيها وأوديتها والبرشومي النابت بدون رعاية، في سفوح الجبال وعقوم المزارع.

كنت في السابعة عشر نحيل الجسد محدود التطلع تلميذا في المرحلة الثانوية، بعد استقرار الأسرة في المنزل المستأجر لا ادري من أرسلني بشيء لا أتذكره بعد عصر يوم، الأب والأم والأولاد يجلسون على الأرض المفروشة بحصير مخطط، وفي وسطهم براد الشاي وفصفص ولوز سوداني وحمص مع كور الحلاوة الحمصية.

جاء جلوسي قبالتها ترتدي ثوبا فضفاضا ازرق قصير؛ لما تحركت تصب لي فنجان الشاي انحسر عن ركبتيها ولما عادت للجلوس انكشف باطن فخذيها وبان سروالها الداخلي، رن جرس التلفون وردت الطفلة عليه وبصوت عال نادت والدها.

لمحت ابتسامة خفيفة على وجه زينب؛ الأبيض المائل للشقرة ولما التفتت ناحية مصدر الصوت تحرك شعرها القصير الناعم ثم انفرجت ركبتيها لمزيد من مساحة العري وهي تنهض، وعرفت إن الإدارة العليا للجهة التي يعمل بها زوجها

تدعوه للحضور، وان سيارة المكتب في الطريق معها طلبت منه اخذ الأطفال إلى بيت عمتهم ولما تتجهز وتبدل ملابسها؛ سوف تلحق بهم.

والجميع عند الباب دست في كفي ورقة عشرة ريالات وطلبت همسا وهي تحدق في الباب المشرع، مطبق حبه مالح وحبتين حلوه؛ وإنها تنتظر ذلك بعد صلاة المغرب.

استغرق إحضار المطبق نصف ساعة، بعد الانتهاء من صلاة المغرب وفتح المحلات التجارية والمطاعم في شارع عكاظ، لما قرعت الباب تأخرت في فتحه كانت بثوبها الواسع وبجسدها شبه المكتنز وابتسامتها الصغيرة، تناولت المطبق ودعتني للدخول.

ولجنا غرفة جلوس العصرية؛ براد الشاي وقشور الفصفص ومتناثر اللوز السوداني والحمص جلست وطلبت مني الجلوس وقبع المطبق بقرب براد الشاي، سألتني عن دراستي وسبب نحولي وهل أنا مريض ولماذا شعر رأسي كث؛ كنت أجيب باقتضاب وخجل.

والجميع يستعد للسفر ونظرات أمي تتنقل بيني وبين زينب؛ وهاجس في داخلي يقول إن أمي عرفت أمر لم تتأكد منه. . قالت: (ايش) رأيك نخطب فرح بنت عمتك زينب لك؟ هزت زينب رأسها موافقة، مما أربك أمي فاختفيت في غرفتي متخلصا من نظرات زوجتي والدي وبعض أفراد الأسرة المشاركين في مراسيم الوداع.

زينب مزقت عذريتي وحتى أتجاوز التغير انكببت على دراستي فتخرجت من الثانوية وسافرت للدراسة، ولم أقاوم ما

حولي كان اندماجي متوافقا مع نجاحي الدراسي الذي توجته بالحصول على الماجستير وبسبب وفاة والدي عدت.

لم أفكر في إكمال مشروع الدكتوراه ومع إرهاق وكثافة العمل أجلت التفكير في الدكتوراه إذ عملي وأبحاثي اكبر من وهج الدرجة العلمية.

أعددت الإجابة المناسبة لكل سؤال مع إضافة سؤالين عن طبيعة المركز وانجازاته، وعن أسماء المخترعين والمبدعين ممن عمل وتعاون مع المركز ونظام دعمهم، وحضر مصور الصحيفة لأخذ الأوراق وإهدائي نسخة من الصور التي التقطها وفي اليوم الثاني جاء اتصالها بموعد النشر.

وأنا أتصفح الجريدة بمكتبي رن جرس الهاتف كانت الصحفية؛ تسألني عن انطباعي وهل إخراج الحوار بهذا الشكل لقي ارتياحي، وقبل أن تغلق الهاتف قالت: خطيبتك فرح طلقت من سنة، وهي في انتظارك. وقبل أن تسمع ردي أغلقت الهاتف.

نبتة الشيطان

في الثانية صباحا عدت ومرافقيني الثلاثة للفندق، وأنا افتح باب الغرفة جاء جرس الهاتف، كانت نائب رئيس الوفد تسألني عن ملاحظاتي على البيان الختامي للمؤتمر، استأذنتها الحضور لغرفتها لمزيد من التدقيق؛ وبعد الانتهاء من تدوين الملاحظات شعرت أن هناك مشروعا آخر، صاغه وهمها حتى تصدق ذاكرتها بطريقة أفضل.

تنبهت من النوم على جرس منبه الهاتف فغادرت الغرفة متوجها إلى مقر الجهة الراعية للمؤتمر؛ كانت تشارك باقي أعضاء الوفد قبل انطلاق الجلسة الختامية مناقشة الملاحظات، وبعد إقرار البيان الختامي ونحن نتوزع على طاولات المطعم اقتعدت الكرسي الثاني في طاولتي، وبعد صمت لم يطل.

قالت: لقبك وجزء من اسمك يسكن أعماقي

قلت: إنها المرة الأولى التي نلتقي

قالت: ومع ذلك أعرفك

استرسلت في الحديث بجمل غير مترابطة وبكلمات راديكالية جافة، وفي الطائرة أخذت أصيغ جوانب يتم استرجاعها من تاريخ عائلتي، وتذكرته شقيق جدتي لأمي رجل الأعمال العصامي، وصل قمة الهرم اقتصاديا ولما فكر أن يتزوج وقد تجاوز الأربعين غرق في صراعات عائلته.

هاجر مغاضبا إلى جده وفي حفل بأحد الفنادق التقى بأمها زوجة دبلوماسي حلق بعيدا، ليجد فيها التطلع والإذن التي تسمع والصوت الذي يناقشه، اعتبرها مستشاره الخاص ومن خلالها

استفاد من علاقات زوجها الدبلوماسية في الحصول على وكالات شركات أوربية، وليكتشف حملها قبل انتقالها مع زوجها إلى سفارة بشمال أفريقيا، استنتجت وأنا اهبط سلم الطائرة أن نائب رئيس الوفد قد تكون ابنته.

السائق

لم أصل إلى النتيجة المتوقعة، كان ملف القضية مليء بالغريب من الأحداث والحالات التي لا يعرف سبب حدوثها، أوراق ممزقة وأدراج مكاتب تم العبث بمحتوياتها، وكلمات عابثة تكتب على الجدران بالفحم الذي تناثرت بقاياه في ممرات المبنى؛ تركته على طاولة بصالة الجلوس، وقد أرهقني التفكير وتسلط علي النعاس فنمت.

نبهني جرس الهاتف، كان السائق الذي استأجر يستعجل خروجي، بعد اعتذاري همس بكلمات لم افهمها، وأنا أترجل أمام باب الإدارة قال (ماما أنت تعبان لازم يستريح) لم أرد ولوحت له بكفي ودخلت مكتبي، وجاءت مع ضجيجها وسوالفها التي اعتدتها هجرها لزوجها ومراقبة جارها المقابل لتحركها، واكتشافها لحمل خادمتها؛ ثم ذكرتني بموعد اللقاء الشهري.

وأنا في هذه المعركة مع نفسي المأزومة بشيء اجهله وهمومي الأسرية ومشاكل العمل،التي لاحظها السائق واخذ يتحدث مسريا عني، ومعها شعرت بقربه أكثر مما دفعني ذات يوم في العاشرة صباحا، وقد عدت للدار أن لا اعترض على دخوله، احضر كأس ماء من البرادة المنتصبة في المطبخ؛ ووقف أمامي وأنا اجلس على احد مقاعد الصالة حتى أتجرعه.

قال: آنت مرهق كثير

قلت: نعم مشاكل

وقف خلفي واخذ يدلك كتفي ويضغط مؤخرة رقبتي، ويتحسس بأطراف أصابعه فقرات ظهري العلوية، باحثا عن الألم الذي استوطن بدني وسرق مني حياتي، ولما مسد شعر رأسي شعرت بالخدر؛ فتنهدت باحثة عن الخلاص.

توقف وحملني رائحته تزكم انفي وسكينة غريبة فرضت نفسها علي، مددني في الفراش وأخذت أنامله تجس جسدي، وشوط برق يسري في مفاصلي وينساب عنوة إلى شعيرات دماغي، معه انبثق نور غير محتمل فأغمضت عيني.

كان يتمتم ليصطاد الطائر المقدس وأنا مشغولة بذاتي انتظر بشغف المجهول، شعرت بثقله فوق صدري عيناي مفتحتان وحواسي سكرا بنشوة لم اعتادها، ظلام يخيم فوقي وفي كل مكان وفي هذه اللحظة الغائبة كنت أحلق في غابة سكنت أغصانها وتوسد الندى أوراقها؛ كان مغمض العينيين يسبح كما سمكة في بحر لجي، كنت البحر الذي زاد صخبه ليسكن بسبب الارتواء؛ مع ارتفاع صوت مؤذن مسجد بالحي لصلات الظهر.

تلفت حولي كان يقف بباب الغرفة نشر ذراعيه وحلق في الهواء كعقاب، بقيت في الفراش اردد فزعة (احرسني يا خالقي أيها السرمدي، أحفظني يا الهي الحبيب) وقد لبسني ثوبا من اللهب أتذكر معه ما حدث، لم استوعب استسلامي كانت رائحته حولي، والماء ينهمر على جسدي الملطخ ببقع حمراء وأثار أصابع عزفت نغمات إيقاعها مطر ونثرت أشعة غيمة حمراء وعميقة في داخلي، كسبت معها روحي بهاء التحول.

عدت منتشية جسديا مرهقة فكريا، فجلست على احد كراسي طاولة الأكل بالمطبخ والجوع يلسعني تجرعت كوب ماء، فتحت باب الثلاجة كل شيء بارد، ليدق جرس الباب اتجهت إليه وقد

أحكمت لف بدني بثوب الحمام، كان السائق يحمل آكلا ساخنا؛ احضره من المطعم الذي اعتدت مشويا ته في المناسبات وهمهم بكلمات لم افهمها ورحل.

من تصرفه شعرت انه نسي حرقه لجسدي، والغابة المطيرة التي أخذني إليها، فركضت حافية القدمين وتسلقت قمم أشجارها العالية، أخذت أفكر فيه بوجد ولم أقاوم رغبة تعاظم لهبها في داخلي، فقررت شرح ما حدث لزميلة اشعر بقربها وقبل أن أغوص، رن هاتفها النقال تكلمت بصوت خافت، ثم التفتت نحوي وهدتني قبلة طائره وأمام اندهاشي همست في أذني (بكره تعرفين) ونسيت الأمر.

جاء انتدابي معها لزيارة موقعا يتبع الإدارة التي اعمل بها، خارج مدينة الرياض بما يزيد على مائة كيلومتر، بسبب الملف الذي يحمل إحداث غريبة وكنت ادرسه منذ شهر يتحدى خبرتي العملية وفكري الإداري، تعثر إيجاد سائق رسمي فلم أجد سوى السائق الذي رحب بخدمتي وبالمقابل المادي الذي اعتمدته الإدارة مع جزء من تكاليف انتدابي، وأصابع كف زميلتي تتخلل أصابعي.

قالت: لن أعود معك

قلت: لماذا

قالت: هنا أقارب

لم اطرح أي سؤال فقد كانت مجدولة برنامجها في الحادية عشر طلبت السماح، وفي الثانية بعد الظهر كنت في طريق العودة لنقف عند محطة نزود السيارة بالوقود؛ وليواجه تلفتي إعلان بخدمات الموقع (موتيل) للمسافرين، كان السائق وهو يحاسب عامل الخدمة مركزا نظره علي تبسمت، ولما تحرك

لف داخل سور الاستراحة ووقف أمام صف من الأبواب في الدور الأول ترجل وفتح باب السيارة مد كفه يساعدني على الوقوف، شيء سرى في أناملي شعرت بأثره؛ واتجهنا إلى احد الأبواب صعد الدرج وفتحه.

كانت غرفة فندق وجدت صورتنا في المرآة المنصوبة في الجدار المقابل، تركني واختفى كنت اجلس على طرف سرير متوسط الحجم، أتأمل الفضاء الممتد أمامي وأراقب تحرك أغصان أشجار الأثل، منصته لمواء القطط ونباح الكلاب؛ وتغريد العصافير مع تقاطع أبواق السيارات وفحيحها.

ثم عاد أغلق الباب وجلس بجواري، رائحته التي أدمنتها تشعل النار في داخلي ومعها اخذ جلدي ينز عرقا، لم أقاوم الوقوع في الهاوية التي فتح المكان فوهتها، ليأخذني المستحيل نحو المطلق وميناء السكون.

في الخامسة مساء ونحن نحاذي محطة البنزين مواصلين مسير العودة، وجدت زميلتي تقف عند طاوله تتناثر عليها مجسمات وهدايا ودمى تذكارية، عرفت أنها لمحتني وهي تركز نظرها على سيارتي لما وصلت الدار مع أذان العشاء، دخلت الحمام وتدفق شلال الماء على جسدي، ولما تمددت في الفراش كانت رائحة السائق تعطر الغرفة، وكنت كما كأس خمر امتلاء بعد نضوب طويل.

الظلام يعم الطريق أتلمس خطاي، دليلي بصيص ضوء خافت يلوح على مبعدة، أنفاس تشاركني المسير بسكينة؛ كنت كمن أغوص في أعماق غابة، الضوء يقترب وفي محيط الدائرة المشعة غمرتني الهمهمة تذكرت السائق، ذات الوجه ذات القميص الأبيض والبنطلون الجينز وذات الرائحة أتجاوز الأول

والثاني والثالث والمائة حجم واحد وتقاسيم واحده ورائحة واحدة وهمهمة واحده بكلماتها الغائمة.

نبهني جرس الهاتف من غفوتي، وأعادني للواقع الذي نسيت معه التعب والقلق والإرهاق، كانت صديقتي رفيقة المهمة الرسمية.

قالت: كم كان يومي رائعا

قلت: افتقدتك وعليك توقيع المحضر الذي أعددناه

تذكرتها كانت في المحطة التي مررت بها، وقفز الفزع الساكن في أعماقي كانت السيارة الواقفة بجوارها ذات السيارة التي اركب، ومن كان يجلس خلف المقود، نسخة أخرى من السائق الذي يرافقني استعدت الحلم وانبثق التشابه، أشعلت ضوء الغرفة وبقية لمبات الدار، دخلت المطبخ وأنا أحوقل تجرعت كأس ماء وبلعت حبتي مسكن.

وأنا في طريقي للمكتب أخذت أحدق فيما حولي، بين سيارة وأخرى سيارة تشبه سيارتي وسائق يحمل تقاسيم وجه سائقي،وأنا اجتاز الطريق متجهة لباب إدارتي وجدت سائقين في عدد من السيارات التي تشبه سيارتي تقف أمام الباب ويترجل منها بعض الموظفات والمراجعات، لما دخلت المكتب وجدتها، طوقتني بذراعيها وزرعت قبله طويلة على عنقي.

قالت: هو جارنا خدين عمر يعشق رائحتي

قلت متعجبة: . . . رائحتك

قالت: وقطع استمتاعنا إدخال والدته المريضة المستشفى

غادرت المكتب بعد قيامها بالتوقيع على المحضر، حولت الأوراق لقسم المتابعة وطلبت من المراسلة السمراء التي أحضرت كوب الشاي الأخضر توصيله، ثوب المراسلة الناعم

الملمس بخطوطة النارية لفت نظري، ومعه ركزت على مؤخرتها المكتنزة، شعرت برغبة ملامستها ناديتها، اقتربت من المكتب وسحبت الملف من يدها وأخذت اقلب أوراقه.

قلت: ما اسم هذا النوع من القماش

كانت كفي وأصابعي تختبر سماكته، اقتربت أكثر فوصلت كفي لمؤخرتها كانت امرأة ناضجة رفعت ذراعيها ومدت أصابعها توثب جسدها بخفة صبيانية كشجرة زاهية، افتر ثغرها عن ابتسامة حميمة.

قالت: (وأنفاسها ورائحتها تملا أعماقي) متوفر بالمشغل الذي تملكه أختي.

لجم صوتها الرخيم لساني وحبس إحساس داخلي تدفقي، كنت في هذه اللحظة أنثى كانت تبحث عن حاجة فلما ظفرت بها أضاعتها، أخذت الملف من فوق المكتب، وهي تختفي شعرت أن فيها شيء خفي وفظيع، معه نسيت الوقت ليطل الحارس وقد فاجأه وجودي بالمكتب، لم أصرخ محتجة فلملمت أوراقي وغادرت المبنى، تلفت حولي لم أجد سيارتي ولم جد السائق.

العتبة

انقبض قلبها بعد سلب الأوهام الفاتنة شخصيتها، فعبرت عينيها سحابة حزن، تعرف كيف تسكن غضبه، في حين أنها بتهربها تثير غيضه؛ مع إدراكها كعتبه سيعثر عليها متجاوزا أزمة النقص التي خلقها انكساره.

ولكن لا تسألوني

قال: قدومها لسنة تفرغ جامعي، بينما عرفت أنها مرافقة لوالدها القادم للعلاج على حساب الدولة، وإذا بها تلج المطعم مع زميل دراسة قال: حضورها سببه اخذ إذن ناشر كتاب في تخصصها لترجمته، قالت: ولأستعيد ذاكرتي.

الجاوية

غرزت أصابعها في كوم الأوراق المبعثرة في ممر الحديقة ، وهمهمت أخطأت باستسلامي للريبة بعدما حققت الهدف؛ ولما رأته يحمل كأسي الايسكريم تلفتت حولها وقالت: لن استسلم لأي حالة مؤذية طالما أنا واثقة من حبه.

فينوس

قارورة مشروب مغشوشة عثرت عليها دورية للشرطة في شنطة سيارته، فرضت زواجي به لأني كنت برفقته تلك الليلة، ثم دخل السجن ستة أشهر وتم فصله من عمله.

وفي لقاء عائلي سنوي قابلت من نحت أزميله جسدي، فغرقت في مشاهد شريط سينمائي لعشرين سنة سابقت فيها الريح بكل أفق؛ وتقدم قارورة المشروب ثمن للحظة فقد، في بعض المناسبات.

قال: (وأنا أغادر) أنت كما أنت!

قلت: غربتك الطويلة أغلقت منافذ الإحساس؟

لوح بكفه المعروقة، شعرت بوهنه والشيب يتخلل شعر رأسه وشاربه الكث؛ ابتسمت وأنا أجد قارورة المشروب بجواري على مقعد العربة، فأخرجت من حقيبة يدي الصغيرة قلم الروج.

الحارس

تلفت يرصد انتباهنا وهو يرشف اخر قطرة في كأس الشاي، وقد انتهت الحلقة المعادة من مسلسل درامي فكاهي يعرضه التلفزيون يعد خصيصا لشهر رمضان، وسكن رباعي البلوت لانشغال احدهم باتصال هاتفي.

قال: هذه حكايتي انما نهايتها خلاف ما عرض، كانت برحمة الله في صالحي.

كل ما شاهدتم خلال نصف ساعة مررت به، باحت بعد عام من تعرفي على اسرة طالب بالمدرسة التي اعمل بها من كانت تتابع دروسه بأنها تحبني.

قالت: لكن حبي لك لم يكن يوما أقوى مما هوعليه الأن.

وان صوتي يزرع السكينة في اعماقها لتتجاوز التعب، كنت امثل بالنسبة لها فقير منعزل اجتماعيا فقررت استعبادي، في العام الثالث ساهمت في تأثيث شقة زواجي بعد ان فشلت في فسخ خطوبتي ممن اختارتها امي لي، كما اختارت ألألوان خطوة بخطوة، وتدخلت في اختيار خاتم الزواج ومركز خياطة الملابس،

لما شاهدت زوجتي انفجر بركان الغيرة، جاء اعترافها الذي اشعرتني فيه اني استحق النبالة بسبب خصوصية المكان الذي ارتقيت اليه في حياتها، لأنها تسعى من أعماق الروح الفرحة بلوعة الآخرين ان تنمي في داخلي روح الانجاز.

ومعه في الشهر الثاني تغيرت حالتي النفسية ودب الشجار بيني وبين زوجتي، كانت وانا اقدم لها التقرير اليومي اما عبر

الهاتف او وهي تجلس بجواري في السيارة وكفها تربض على فخذي تدقق في التفاصيل، وكانت كجزء من حقيقة لا تنكر نهم لشيء اخر.

واشعر بفرحها عندما اخبرها ان زوجتي عند اهلها، وذات مساء وقد تطاول النقاش هممت بضرب زوجتي، نفست عن غضبي بلكم مرآة مغسلة اليدين القابعة في زاوية الصالة فأدميت يدي وجرحت اصابعي وتناثر الزجاج في حوض المغسلة وعلى البلاط، وانا اتفقد الحالة اكتشفت لفافة سوداء مدسوسة بعناية في حفرة بالجدار.

جلست على احد كرسي الصالة واخذت أفك أربطة اللفافة اظافر وشعر وقطع مختلفة من قماش مقصوصة بعناية ومخاطة الى بعضها بخيط اسود وورقة عليها رسوم وخطوط، خفت واتصلت بزميل في المدرسة حضر وقام بجمع المتناثر؛ وأخذني الى منزل امام مسجد الحي الذي يسكن فيه.

اخذ الامام اللفافة وبعد فحصها قال: هذا عمل شيطاني

قلت: سحر

قال زميلي: اجل كانت امورك مرتبكه آخيراوكنا نتحرج نكلمك

قال امام المسجد: امور بيتك . .

قاطعته: متردديه نفسيا لولى ان زوجتي قريبه كنت طلقتها من ثاني اسبوع

وضع كفه على رأسي وتلى بعض ايات القرآن ثم نفث في وجهي، وقام بوضع اللفافة ومحتوياتها في اناء واشعل فيها النار ولما ترمدت سكب عليها الماء.

شعرت بسكينة وهدوء وشع نور بدد العتمة معه تجاوزت غابة الرماد، وطلب مني الانتقال من شقتي وان الأفضل مغادرة المدينة؛ فكان ذلك وها أنا العب البلوت معكم، وزوجتى تضع مولودها الثاني بين يدي امها.

الفراشة

في نهاية اليوم الرابع للمؤتمر جاء جلوسه إلى طاولتي في مطعم الفندق الذي يحتضن لقاءنا السابع، والذي احضره للمرة الثالثة حيث يتم انعقاد المؤتمر كل عامين في المدينة التي تقوم الجامعة المستضيفة؛ والتي تم التوافق على دعوتها في اللقاء السابق.

قال: أنه الحضور الأول لي لتقاعد مندوب الإدارة التي اعمل بها.

وفي الخامسة عصرا وأنا أقف أمام باب المصعد.

قال: سوف أقوم بجولة خاصة وزيارة قريب يرقد في أحد المستشفيات جاء للعلاج على حساب الدولة.

ودس في كفي ورقة مطوية من مذكرات الفندق، تحمل رقم هاتفه النقال ورقم غرفته.

بعد إغفاءة لا أدري كيف طالت، كانت عقارب الساعة تشير إلى العاشرة ليلا، شعرت بالجوع والظماء فأخذت حماما بارد وبدلت ملابسي، وأنا أتناول جهاز الهاتف النقال من على طاولة التلفزيون بالغرفة، لمحت المذكرة ورقم الهاتف.

جاء العشاء والحديث الذي معه تجاوزنا جدل المؤتمر، وتباين الأعضاء السياسي وثقافة بعضهم المتدنية وهم يسلطون الضوء على تأثير هذه الكوارث على الإنسان؛ للتعارف وتحديد نقاط المشاركة على ضوء تخصصنا العلمي والمعرفي.

همنا مشترك بما حمله برنامج المؤتمر من نقاط أمطرناها تحليلا، وغدا اليوم الخامس تعقد الجلسة الختامية في العاشرة

صباحا وتعلن المقررات ويصدر البيان الختامي وتعلن معه الجامعة المستضيفة ومدينتها لاحتضان اللقاء الثامن.

تجاوزنا الحديث واندمجنا في رسم خارطة لا علاقة لها بما تجمعنا له، من ثلاث قارات تشابهت مجموعة من دلها في مخاطر كوارث طبيعية.

أغمضت حواء عينيها؛ المشهد والألوان قطرات المطر تنهمر شلال ماء الفيضان يحملها إلى أماكن هجرتها، بعد انخراطها رغم انفها في حياة جديدة، كما فراشة اقتربت من اللهب بحثا عن الدفء فاحترقت.

تنبهت على جرس هاتف الغرفة، كان يرتدي ملابسه جلس على طرف الفراش.

قال: أسف لن احضر الجلسة الختامية.

دخلت الحمام وانسكب الماء على جسدي، فضلت استعمال المنشفة التي نشف بها جسده، ولما سعيت لارتداء سروالي الأبيض الذي دسسته تحت المخدة فلم أجده، ولمحت على جهاز التلفزيون لفافة صغيرة حوت آخر جديد لونه أحمر.

وأنا استعد للخروج من الغرفة إذ أزف موعد الجلسة الختامية، عثرت على الطاولة التي بجوار باب الغرفة، على كتاب عنوانه يناقش فقرة الجفاف وتلوث المياه، الفقرة التي لم نتوافق على طرق تجاوزها فتم ترحيلها للقاء القادم، وفوقه علبة صغيرة لما فتحتها لمع خاتم بفص من الزمرد الأخضر.

وأنا أتفحص الخاتم رن جرس هاتف الغرفة، معه دسست الكتاب في حقيبة يدي مع الخاتم، كانت سكرتيرة المؤتمر تطلب مني الحضور لمكتب السكرتارية لتوقيع المحضر بصفتي نائب

الوفد، وهناك اخبرني احد أعضاء الوفد سفر الرئيس بسب اتصال من السفارة.

أعلن البيان وتحددت المدينة التي تستضيف اللقاء الثامن، موعد عودتنا كوفد بعد ثمان ساعات، شاركت بعض الأعضاء التسوق وفي الطائرة أخرجت الكتاب لتزجيه الوقت ومعه الخاتم الذي انتصب مشعا في احد أصابع كفي اليسرى، في الصفحة الرابعة من الكتاب وجدت بخط حروفه صغيرة وحبر اخضر كلمات ملتبسة (إلى الندى من وجدت الإنصات لها مفيدا لتذكر هذه اللحظة).

تذكرت إني لا أعرف اسمه والى أي وفد ينتمي، جاء صوت من يجلس بجواري من الوفد (أن التنظيم جيدا. ومحاور اللقاء مركزة. لأن نصف مواضيع الجدول مستقاة من مقترحاتنا) ثم أخذ يقلب البوم صور فوتوغرافية تم التقاطها للوفود، لما لمحته وضعت سبابتي عليه سائله مرافقي عنه، أغلق عينيه مفكرا ثم حدق في وزم شفتيه وهز رأسه بعدم المعرفة.

تحسست الخاتم متذكرة لون سروالي الداخلي فأغمضت عيني مستعيده أحداث أربع وعشرين ساعة، ليتردد صدى إذاعة الطائرة بتأكيد ربط الأحزمة وإغلاق الهاتف النقال والأجهزة الالكترونية استعدادا للهبوط، فتحت هاتفي قبل إغلاقه فلم أجد رقمه وقلبت أوراق الكتاب فعثرت على مذكرة الفندق مطوية كان الرقم الذي بها رقم هاتفي وكذلك رقم غرفتي.

فأر التجارب

في حفل عشاء خاص باستراحة شمال الرياض، تأكد مسعاي بأن أجتاح جسد زينب أستاذ علم النفس بالجامعة الأهلية، وهي تتألق ببساطتها كنجمة حفل أعضاء القسم من الجنسين بمظهرها وحديثها وقربها ن الجميع، بعد أن استفزني استحواذها على وقت نائب مدير الجامعة الذي حضر لدقائق مجاملة لكبير اساتذة القسم المحتفل بأفراد عائلته القادمة من مصر للبقاء طيلة الصيف بسبب فصل دراسي صيفي؛ اعتمده مجلس ادارة الجامعة وفقا لرغبة مجموعة من الطلاب.

عند المغادرة لبى البعض دعوتي للتوصيل في طريق عودتي، التقت نظراتي ببحثها عن زميلتها التي حضرت معها، تابعتها حتى عثرت عليها ثم التقينا عند الباب.

قلت: اتمنى توصيلك . . ثم !

فاجأها قولي المختصر المعلن امام من حولنا بما تحت السطور من بعد(ثم) فتوقفت عن الكلام مددت كفي مشيرا لسيارتي وقد وقف بجوارها البعض، لحقت بي وجلست في المقعد الأمامي عرفت أن زوجها مسافر في رحلة عمل منذ أيام، بعد ان اوصلت مرافقينا وعدنا ادراجنا للعمارة التي نتشارك السكن في شققها، والتي تمتلكها الشركة التي أسستها الجامعة.

قلت: أمي تقيم معي وهي الأن عند أختي المريضة

طال وقوفها في المدخل تستعرض الصور واللوحات المعلقة، ثم جلست بعد ان خلعت عباءتها وحررت شعر رأسها من الوشاح الملتف حوله، جلست بجوارها واشعلت التلفزيون رائحتها تتسرب الى زوايا المكان، وظعت كفي اليسرى على فخذها شيء فيها اهتز، قربت فمي من عنقها زارعا قبلة سريعة وقمت خشية ردة فعلها.

قالت: ليه وهي تمسد شعر رأسها

وقفت وهي تحدق في مددت ذراعي وطوقتها دسست وجهي في صدرها تقاسيم وجهها الهاديء ومكونات جسدها وقلق اللحظة وفرا خطوتنا التالية التي اكده استسلامها مما شجعني على التمادي والتنقل من خطوة لآخرى، كانت وفق رضاها مساحة حرة في حديقة غناء بنسيمها وأريجها وموسيقى هادئة تنساب من مكان بعيد تشاركنا غيابنا.

وهي تستعد للمغادرة قالت: أشعر أنك صدتني وان كنت علميا أتقمص دور الصياد.!

قلت: بل روحك اشعلت كل هواجس الأنتظار فنصبت شباكي

قالت: وابنة العميد

قلت: مؤخرتها نقطة جذب

وهي تلتف حولها قالت: وانا

قلت: روابيك غنية بالحياة

وامام الباب وبعد عناق وقبلة طويلة؛ قلت: هل تقدميني لها

وجاء هاتفها بعد مغرب اليوم الثالث؛ كانت كلمة واحدة قالت: انتظرك

ارتديت افضل ثيابي وتحلقت وتعطرت؛ فتح الباب زوجها المحاسب في الادارة المالية، التي هي من الأقسام التي اشرف

عليها بصفتي مدير عام الشئون الادارية والمالية بالجامعة، عرفني على ضيوفه كان العميد وزوجته وابنه حسن وابنته سكينة ولأعرف اثناء الحديث انه شقيق الزوجة.

جاء جلوسي على طاولة العشاء بين زينب وسكينة، وجاء الأبن وزوجها قبالته بينما العميد وزوجته عل طرفي الطاولة متقابلين، شعرت انها كانت تحت الطاولة تمارس لعبتها مع الأبن الذي لمحت ارتباكه مما شجعني على الحديث عن بعض المواقف الطريفة في العمل، ومع اندماجي كانت كفي تقبع بسكينة وهدوء بعض اللحظات على فخذ الفتاة التي ترتدي بنطلون جنز، مما يدفعها الى التحديق في فأتنبه اسحب كفي.

ونحن جلوس في الصالة أمام التلفزيون استأذن العميد فطلبت زينب بقاء سكينة وحسن وبعد تدخل الزوج بأنه سوف يوصلهم اذا اقتضى الأمر، ونحن الأربعة نعلق على المشاهد في التلفزيون ونتحدث في لغط عن جوانب من اهتمامنا، رن هاتف الزوج وغادر مؤكدا عودته بعد نصف ساعة.

قالت زينب وهي توزع نظراتها بيني وبين سكينة: لما لاتفرج سكينة على مكتبتك التي محتوياتها تتفق مع مولها ودراستها الجامعية.

قال حسن: فكرة انما في وقت آخر

وتواصل الحديث لترف سكينة اني اسكن ذات البناية، معها تشجعت فأمسكت بكفها وسحبتها خلفي.

قالت: الا يوجد أحد.

قلت: أمي مسافرة

ولما دخلنا غرفة المكتب اخذت تتفحص عناوين الكتب واشرطة الحاسب؛ كنت اقف بجوارها شارحا ومعلقا، ثم انحرك

حولها ملامسا مؤخرتها ولم يقلقها التصاقي بجسدها ولما جلست خلف المكتب؛ مشعلا جهاز الحاسب اجلستها في حظني لنتابع الملفات وعناوين الأبحاث المخزنة وانفاسي تلفح عنقها وكفي الثانية تربض بسكون على فخذها.

خزنت مدونتها واستعرضت بعض صورها وصور زملائها بالجامعة وانها في السنة النهائية من احد اقسام كلية التجارة، وهي تعيد عرض الصور طبعت قبلة على عنقها معها رن جرس الباب لما فتحته كان اخيها دعوته للدخول فأعتذر ولتأتي ومعها أحد الكتب.

ولما عادت امي كنت اختلس بعض الوقت لتجديد اللقاء بزينب في شقتها، وقت غياب زوجها في متابعته لأعماله خارج الرياض وقد استغل وظيفته بالجامعة كمحاسب في اعماله الخاصة، شيء فيها يتجدد عند كل لقاء وعطاؤها يخترق مسامي ومعه اصبحت طوع بنانها، فغدوت وسيط ينفذ مطالبها ويسهل مشاريع زوجها.

في ليلة طلبت مني دعوتها للعشاء في مطعم عائلي فاخر حتى تعرفني على احدى صديقاتها، كانت الصديقة احدى منسوبات الجامعة طالبة ماجستير تنتمي لي بصلة قرابة من عائلة تقيم خارج الرياض، لفت نظري تقارب الأثنتين وتبادلهم الحديث الهامس ومشاهدة رسائل الهاتف النقال، اختبرت دوري في اللقاء وأنا انهض من مقعدي بدعوى الذهاب للحمام ان انحنيت على الضيفة وقبلت عنقها، معه لمحت انفعال الأستاذة.

قلت وانا اغادر: الشقة فاضية امي سافرت البارح!

ولما عدت وجدت الترحيب فسلكنا طريقنا، في الصالة وامام التلفزيون تواصل حديثنا ولاجد الاثنتين وقد التحمتا في عناق

معه تأكد مثيلية الأستاذة ولما انهارتا امسكت بذراع الضيفة ولما وقفت طوقتها بذراعي وانا ادفعها عنوة للحظة لم تستطع مقاومتها مستبيحا تصدعها وانبهار الاستاذة.

لم يعد اسم الفتاة يتسلق حديثنا للشيء مجهول انسلخ وجودها ن عبثنا، وكلفت بمهمة فحص عقود اعضاء هيئة التدريس الجدد وبعض تخصصات العمل وقد تقدم البعض بالأستقالة فكان علي السفر للقاهرة؛ مما لفت ظري زوج الأستاذة ان اخته ترتب ذلك مع مكتب علاقات عامة ومركز ابحاث تشارك زوجها العميد فيه.

في المطار كانت الأم مع ابنتها في انتظاري وتابعا اكمال حجز جناح الفندق الذي تم الحجز فيه، بقيت الأبنة عند قسم الأستقبال وشاركتني الأم المصعد مع الموظف الذي ارشدني للغرفة وعرفت منها بعض الترتيبات التي علي الاطلاع عليها في العاشرة من صباح الغد.

نبهني من النوم صوت الأبنه وانها مع سائق مكتب الأبحاث تنتظرني، طلبت منها الصعود لأدري كيف خرجت الدعوة وعاتبت نفسي على تسرعي والمء ينهال على جسدي، وانا اكمل ارتداء ملابسي كان الباب يقرع كانت الأبنة دعوتها للدخول حتى اكمل استعدادي، وعند باب الخروج تمهلت حتى وقفت بجواري شابكت اصابع كفي بأصابعها ودفعتها الى الجدار وانا امص شفتيها لم تقاوم حركتي المفاجئة وتذكرت السائق ابتعدت عنها ولمحت ابتسامة صغيرة على وجهها وفي المصعد كانت كفها تعانق كفي ولم تطلقها حتى ركبنا السيارة.

ونحن مع اثنين من موظفي المكتب بعد عشاء اقامته لي زوجة العميد كنا نتفحص الملفات والأسماء.

قال حسن: وهو يرفع ملف احدى المتقدمات ارجوكم قبولها

قلت: من

قال: اخت زميلي وصديقي

قلت: وما علاقتك بها محولا استفزاز امه واثارته

قال: انا اكره البنات

قلت: واخوها

قال: وهو يتوجس انفعال والدته التي سلطت نظرها عليه؛ يعني

قالت الأبنه: انا اجدع منه

في تنقلاتي بين السفارة ومكتب الخدمات العامة ومقابلة بعض المتقدمين في مركز الأبحاث؛ تقاسم الثلاثة الأم والأبنة والأبن الأدوار بمحاصرتي وتحديد تنقلاتي، حتى جرى تحديد الأسماء المختارة.

وفي ليلة سفر اختفى الجميع لم اهتم بالأمر وقد رتب الفندق الحجز وتأمين السيارة التي توصلني للمطار، لآجد الأستاذة منذ عشرة ايام ترقد في احدى غرف العناية الركزة بمستشفى الشميسي، بعد ان دهمتها سيارة اثناء ترجلها من سيارة زميل في ساعة متأخرة من الليل م سيارة مسرعة امام باب العمارة.

في اليوم الرابع عشر انتقلت الى رحمة الله، وجرى دفنها في مقابر الرياض وكان وريثها الوحيد زوجها بعد احضاره ان لاقرايب لها سواه، زكل ما حصر اثاث الشقة وبعض المراجع وجهاز حاسب بمكتبها والف ريال عثر عليها في احد ادراج غرفة النوم، ومع مطالب زوجها بالتحقيق ومساعدته لم يتوصل الجميع لشيء.

وخطر في ذهني اسم طالبة الماجستير والمحاضرة بقسم اخر في ذات الكلية، دعوتها للعشاء لمعرفة بعض المعلومات عن المتوفاة فكان العشاء في المطعم الذي تعارفنا فيه، عرفت انها تزوجت ابن خالتها وأن لديها ابن في الثالثة.

قلت: قد يكون ولدي

قالت: ثمرة زواجي، صحيح التقينا ذات يوم ولكن انت الأن صديق واخ

قلت: كيف

قالت: وأنا اركض عبر السراديب عثرت على ذاتي

قلت: كانت تعشق جسدك

قالت: ضاحكه وأول زوج في حياتي

قلت: هب من خلقك

قالت: لما عرفت انك فأر تجارب خشيت ان يصلني الور فهربت

ونحن في الطريق حتى اوصلها للمكان الذي اخذتها منه، سألتني لما لم اتزوج ولا عرفت اسبابي اغرتني بأن عندها منتناسبني وتتمنى ان اوافق عليها وهي معلمة ارملة لديها ابن لم يتجاوز الثانية، وهي تقهقه بعد فتحها لباب السيارة قالت: لقد تحول رصيد الأستاذة المالي والعلمي كأرث لي حسب وصيتها واتفاقية بيننا اعتمدها البنك.

ثقافة

انفلت من بين الأصدقاء المحدقين معه في امتداد البحر، مقتحما الموج وهو يصرخ: الشمس غرقت سوف انقذها. ولما تأخر في العودة، امتطى الأصدقاء سياراتهم مغادرين المكان وبقيت سيارته تنتظر عودته.

افراج

بعد خمس سنوات من الحجز، تم الافراج عنهم منهم المعاق الجسدي ومنهم المعاق الفكري وجرى توزيعهم عشوائيا في مدن مختلفة، مع انبلاج الضحى اكتشف أنه مع عربته المتحركة في الشارع، الناس يتحركون والشمس تشكل ظله، تلفت ونهض عرف كيف يمشي، ولما نزل من فوق الرصيف دهسته سيارة مسرعة.

خديعة

نزح: وراء قمم الأحلام التي تشاركه مجلسه المنفرد بالمقهى، مع دخان الجراك وهو يحصي عتبات صعوده ودرجات تدحرجه الى هاوية العمر، وقد اغلق الواقع منافذ الاحساس، لم يحضر حفل تكريم المتقاعدين من العمل فهو منهم في ادارته الحكومية، همهم: وصديق عمره يشاركه هذه الليلة الشتائية الصاخبة بالرياح والمطر، مز دخان الجراك: كنت فراشة جذبها النور الحارق فأحترقت ولما كنست الريح ما تبقى من يباس تناثرت في الفضاء.

زهرة الدفلي

جاء اتصالها وأنا في مكة المكرمة لمناسبة خاصة، صوتها يرشح الما وهي تجهش بالبكاء فاحداهن اتصلت بها وأهانتها.

بعد أنتهاء المناسبة قررت زيارتها لمواستها، لما وصلت الشارع الذي به منزلها أنتظرت في سيارتي مفكرا، انه اللقاء الأول بعد تواصل صوتي تجاوز عامه الثالث.

توقفت عربة أجره ترجلت من توهمتها هي وولجت بابا كان موارب، قائد العربة الأسود وقف بمحاذاتي لوح بكفه مبتسما وأنطلق، تذكرت اني أعرفه ولكن غاب عني أسمه.

يوم جمعة

هي من سعت لطلب الطلاق بعد زواج اربعة أعوام، لم تجد فيها الهدوء الذي معها فقدت ظلها، اذ انه لا يمتلك اطلاقا تلك البهجة المفعمة بالرقة والحنو التي تلتمع في عينيه، وعادت لغرفتها في منزل والدها في الشهر الخامس تذكرت حبها الأول فأخذت تقف خلف ستارة نافذة غرفتها ليلا تتأمل الفضاء.

في نهاية الشهر العاشر لمحته عبر العتمة يخرج من باب المنزل المقبل، قبل ان يمتطي عربته حدق في النافذة، رصدته كان يأتي كل يوم جمعة بعد أذان المغرب لزيارة اسرته ومع اذان العشاء يغادر وفي الحالتين يحدق في النافذة، عليها ان تعبر هذا الخوف الساكن في داخلها من دون أي عون.

تعطرت وارتدت اجمل ملابسها، اخبرت امها انها مدعوة لمناسبة تقيمها زميلتها في العمل بعد المغرب، خرجت من الباب لمحها وهو يهم بمغادرة العربة تمشي على الرصيف، شيء فيه اشتعل حرك العربة ولما حاذاها توقف، لما استقرت في المقعد لم يكن هو، ولما تجاوز الشارع لم تكن هي، تأملته وشعرت بالم حاد يخترقها.

عبرت لحظة صمت كأنه لم يجد ما يقوله،فجأة وجهه أشرق وصوته الهامس تدفق مولدا قوة هائلة، معه الأحلام كانت تنسج خيط هبات حميمية لم تعد تذكر، فوجدت في ذلك شيء من الرضا.

صدر للكاتب قصص

1- البحث عن ابتسامة

الناشر نادي الطائف الأدبي - الطائف 1396هـ/1976م، ط 2 الناشر الدار السعودية ط2/1985م ط 3 نادي القصيم الأدبي 1429

2- حكاية حب ساذجة

الناشر نادي الطائف الأدبي - الطائف 1398هـ/1978م ط 2 الناشر الدار السعودية - جدة ط2/ 1985م

3- مساء يوم في آذار

الناشر شركة تهامة - جدة1401هـ/1981م

4- انتظار الرحلة الملغاة

الناشر نادي القصة السعودي - الرياض 1403هـ/1983م

5- الزهور الصفراء

الناشر نادي الطائف الأدبي - الطائف 1404هـ/1984م ط2 دار الفارابي 2010

6- قالت أنها قادمة

الناشر الدار السعودية - جده 1407هـ/1987م

7- الغريب

الناشر مجلة الثقافة - دمشق 1408هـ/1988م

8- الانحدار

الناشر نادي الطائف الأدبي - الطائف 1413هـ/1993م ط2 دار الفارابي 2009

9- الرجل الذي مات وهو ينتظر

الناشر المؤسسة العربية للدراسات والنشر- بيروت 1415هـ /1994م

10- الطيب

الناشر مكتب الصحافة العربية - القاهرة 1418هـ/1997م

11- الحملة

الناشر نادي جازان الأدبي - جازان 1423هـ/2002م

12- الغياب

الناشر أصوات معاصرة - شرقية - القاهرة 1426هـ / 2005م

13- المحطة الأخيرة

الناشر دار الفارابي - بيروت - 2008م

14- فرشاة اله الرعد

الناشر أي – كتب الطبعة الالكترونية الأولى 2011

15- النسخة الأولى (ق. ق.ج)

الناشر نادي الطائف الأدبي / 1432 - 2011